قـامــوس العشــق

نزار قباني

عاطف عمارة

الحريـــة
للنشر والتوزيع
٣ ميدان عرابى وسط البلد ـ القاهرة
ت: ٢٦١٥٦٤٦ ـ ٥٧٤٥٦٧٩ م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١.

اسم الكتاب	قاموس العشق
تأليف	عاطف عمارة
الناشر	الحرية للنشر والتوزيع ٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة ت: ٢٦١٥٦٤٦ - ٥٧٤٥٦٧٩ م: ٠١٢٣٨٧٧٩٢١
رقم الإيداع	٢٠٠٥ /٩٧٨١
الترقيم الدولى	1 - 45 - 8532 - 790

قاموس العشق

نزار قباني

المقدمة

هو أمير الشعر العربى الحديث بلا منازع.. إنه نزار قبانى جاء نزار قبانى فى زمن كان الشعر العربى قد إقترب من الجمود وتشبث بتلابيب التقاليد الشعرية الموروثة، حتى أن قاموس الكلمات كان شبه ثابت.. حتى جاء نزار فأدخل الكلمات التى قد تتردد على ألسنة الناس فى الشوارع والحارات.

وعن رأيه فى قضية الشعر العربى يقول نزار فى كتابه «الشعر قنديل أخضر»!! أتساءل وملف قضية الشعر العربى بين يدى، هل يحق لى أن أمد أصابعى إلى هذا الهرم المنحوت من حجارة الأعين ومن ورق الورد ورفيف الأحلام.

فأنا كشاعر، جزء من القضية التى كلفت النظر فيها. فكيف ألبس ثوب القاضى وثوب المتهم فى آن واحد؟ كيف أفصل فى معركة أنا بعض وهجها.

وقد أدخل نزار مفردات جديده إلى قاموس اللغة الشعرية ولأن موهبته الشعرية من طراز خاص فقد إستطاع أن يقى نفسه من الإنزلاق فى مثالب التجديد الأجوف.. بل إستطاع أن يوظف مفرداته توظيفاً رائعاً..

وعن إحساس الشاعر المتنامى بالثقة بالنفس وقدرته على تغيير العالم يجيب نزار على سؤال وُجه إليه بهذا المعنى.

السؤال: قيل كثيراً (الشعر يغير العالم) لكن الصراعات الإجتماعية

(الطبقية تحديداً) وكذلك السياسة. والحروب التي هي ذروة اللاحوار؟ كلها، مجتمعة تغير العالم ما واقع هذا القول في ضوء تجربتك الطويلة؟

ويجيب نزار قائلاً:

.عندما يقول الشاعر بأنه بشعره سيغير العالم فيجب أن نصدقه، تماماً كما نصدق الطفل عندما يخبرنا أنه إمتطى غيمة. أو إصطاد نجمة، أو تكلم مع فراشة..

فكل من يملك السلطة يغير العالم على طريقته.. ولكن الوسائل تختلف، والمواقف تختلف والسلوكيات تختلف.

ونزار الذي إمتلاك سلطته الكلمات وكان الطفل يعبث بالحصى على شواطئ بحور الشعر.. إستطاع أن يغير العالم على طريقته وبأسلوبه الخاص. وإنطلاقاً من موقفه هو.

التنقيب عن الحُبّ..

١

منذُ خمسينَ عاماً.
بدأتُ أعمالَ التنقيبِ عن الحُبْ..
فى داخل الأُنثى العربيَّهْ..
فقد كنتُ أعتبرُ الأُنوثَهْ
أهمَّ من الذَهَبِ.. والماسِ.. والبلاتينْ..
ومن كُلِّ المعادن الثمينَهْ.
كنتُ أعتبرُها
ثروةً قوميّة، وشعريّة، وتشكيليَّهْ..
وشجرةً ثقافيةً نأكلُ من خَيْرِها..
ونتباركُ بزَيْتِها المقدَّسْ.

٢

منذُ الأربعيناتْ.
وأنا أواصلُ التنقيبَ عن الحُبّ.
فى أقاليمكِ التى لا تاريخَ لها قَبْلى.

ولن يكونَ لها تاريخٌ بَعْدى.
كنتُ أبحثُ عن الماء والمرعى.
تحت خُيُوط دَشْدَاشَتِكِ المشغولَةِ بالأزهَارْ..
وعن تُراثٍ من الكُحْلِ.. والحُزْنِ.. والشِعْر..
مُخَبَّأٍ في عينيْكِ..
من أيّام امْرِئ القيسْ!!..

٣

منذُ الأربعيناتْ.
وأنا أنْخُلُ رمالَ جَسَدِكِ الجميلْ
حَبَّةً.. حَبَّهْ..
رابيةً.. رابيهْ..
زاويةً.. زاويَهْ..
نَبَشْتُ تحت إبطَيْكِ الُمْكتظَّيْنِ بالحنطَهْ..
وتحت خاصرتِكِ المكتوبةِ على البحرِ الطويلْ..

٤

نَبَشْتُ عنِ المِسْكِ تحتَ الضفائرْ..
تسلَّلْتُ نحو بُيُوت الحَمَامْ..

وتحتَ صِباغِ الأظافرْ..
وضيَّعتُ إسمي.. وعنوانَ بَيْتي..
فهل صارَ مَنْفَايَ بين الأساورْ؟؟

٥

منذُ خمسينَ عاماً
وأنا أحفرُ بأظفاري قاراتِ العالم الخمسْ..
من غابات الأمازونْ.. إلى مضيقِ جَبَلِ طارقْ..
ومن جُزُر الكَنَاري.. إلى جُزُر القَمَرْ..
ومن مجاهلِ سيبريا..
إلى جنُوبِ إسْبَانيا...

٦

منذُ خمسينَ عاماً
كان حرفُ الحاء ممنوعاً..
وحرفُ الباء ممنوعاً..
وجميلُ بُثينَةَ مُعْتَقلاً..
وكُثَيِّرُ عزَّةَ تحت الإقامة الجبريَّةْ..
وولاَّدةُ بنتُ المُسْتكفي

محبوسةً في سجن النساء!!...

عندما بدأتُ أعمالَ التنقيبِ عن الحُبْ..

ونجحَتْ تجاربي الأولى..

خافَ أهلُ البَلَدِ على نسائهمْ...

وخافَ الرجالُ على رُجُولتهمْ...

وخافَ المثقَّفُونَ والكُتَّابُ على وظائفهمْ...

وخافَ الأمريكيُّون على استثماراتهمْ...

وخافَ الإنكليزُ على إمبراطوريَّتهمْ...

وخافَ أهلي على سُمْعَتهمْ..

قالَ أبي: إنَّ مشاريعي خُنْفُشَاريَّهْ...

فلا الحبُّ يُطْعِمُ خبزاً..

لا الشعرُ يُطْعِمُ خبزاً..

وخشيَتْ أُمّي أن تخْطَفَني

إحدى حُوريّات البحر.. على كورنيش بيروتْ...

وأن أمُوتَ...

في إحدى أمسياتي الشعريَّهْ!!..

في الأربعيناتْ.

لم يكُنْ أحدٌ في مدينتنا مقتنعاً

بأنَّ الحُبَّ موجودٌ تحتَ الأرضْ..

أو فوقَ الأرضْ..
المهندسُونَ ضحكُوا عليّْ...
والجيولوجيُّونَ ضحكُوا عليّْ..
وذُكُورُ القبيلة تَعوّذُوا باللهْ..
وخافوا أن تخرجَ لهم النساءُ من بالوعة المطبَخْ..
ويستلمنَ السُلْطَهْ!!..

٩

في الأربعيناتْ.
كانت المرأةُ تخافُ أن تنظرَ إلى جَسَدِها في المرآةْ...
حتَّى لا تِشْتَهِيهْ!!...

١٠

في الأربعيناتْ.
كانَ القَمْعُ العاطفيُّ في ذروتِهْ..
فأبو زيد الهلالي
كانَ رقيباً على المطبُوعاتْ..

١١

منذُ خمسينَ عاماً.
وأنا أعمَلُ كشرَنْقَةٍ فى غَزْل خيطان الأُنوثَةْ..
حتى تهيَّأ لى..
أنَّ كلَّ نساء العالم العربّى
لا يلبسْنَ إلاَّ حريرَ قصائدى!!..

١٢

فى الأربعيناتْ.
لم يكُنْ أَحَدٌ يجرؤُ أن يرتكبَ قصيدةَ حُبْ..
أو يُرْسِلَ أولادَهُ إلى مدرسة الحُبْ...
أو يُوظِّفَ قرشاً واحداً فى بنك الُحْب...
لا أَحَدَ كانَ مستعداً
أن يتورَّطَ فى عشْقِ امْرأَةْ...
حتّى لا يخسَرَ عُذْرِيّتَهْ..
وشرفَهُ العسكرىْ..
وأصواتهُ الإنتخابيَّهْ!!...

١٣

في الأربعيناتْ.
كانَ الناسُ ضِدَّ الُحبِّ.. وضِدَّ الشعْرِ.. وضِدّي..
وكانت الاستثماراتُ العاطفيةُ مغامرةً مجنونَةْ...
كانت كتابةُ ديوان شعرٍ.. تُعادل الفضيحَةْ...
وكانت قراءتُهُ جُرْماً موصُوفاً..
تنظرُ فيه محكمةُ الجناياتْ!!...

١٤

النساءُ وحدهُنَّ..
كُنَّ مُتَحمِّساتٍ لمشرُوعي.
حتّى تَنْفتحَ أمامي أبوابُ الكنْزِ المسحُورْ..
وتتفجَّرَ آبارُ الحُبّ تحت أقدامي..
فينتهي عصرُ الجَفَافِ والُملوحَةْ..
وتتغيَّرُ خريطةُ الأرضِ.. وخريطةُ الإنسانْ..
ونتحوَّلُ من أمّةٍ يقتلُها العَطَشْ.
إلى أمّةٍ تغتسِلُ بأمطار الحُبّْ!!..

١٥

فى الأربعينات.
كان الجاهليُّونَ قانعينَ بجَاهِليّتهِمْ...
وذكورُ القبيلة قانعيَن بذُكُورتهمْ..
أمّا نساءُ القبيلَةْ..
فكُنَّ يُحْلبْنَ مع النُوقْ..
ويُسْحَقْنَ بالمهْبَاج مع البُنْ..
ويُؤكلْنَ مع (البريانى).. والمَرَقْ..
كانَ الحبُّ لُعْبَةَ الرجل وحدَهْ..
هو الذى يُوَزِّعُ الوَرَقْ..
وهو الذى يسرُقُ (الجوكرَاتْ)..
وهو الذى يهزُمُ الجميعْ
ولكنَّهُ لا يُهْزَمُ أبداً!!..

١٦

قبلَ خمسيَن عاماً.
كانتْ مُناداةُ المرأة باسْمِهَا الصَغيرْ..
عَوْرَةْ...

وحديثُها على التلفون عَوْرَهْ..
وحديثُها مع نفسِها عَوْرَهْ...
وكانَ شاعرُ الحُبّ العربيْ
يكتُبُ وصيّتَهْ..
قبلَ أن يلامِسَ ظِفْرَ حبيبتهِ!!.

١٧

بعدَ خمسينَ عاماً.
من انْضِمَامى إلى حِزْبِ النسَاءْ..
لا تزالُ أعمالى مُزْدَهِرَةْ..
وقصائدى مُزْدهِرَةْ..
وحبيباتى ملءَ السَمْعِ والبَصَرْ..
ولا يزالُ الأمريكيّونَ..
يحاولونَ أن يسحبُوا امتيازى
للتنقيبِ عن الحُبّْ..
ويجُرِّدونى من الرأسمالِ الوحيد الذى أمْلكُهْ..
شِعْرى..
وعشْقى..
وحُرِّيتى!!.

لندن نيسان (أبريل) ١٩٩٦

أجملُ نصُوصى

١

أنتِ النصُّ الأجملُ بينَ نُصُوصى
أنتِ الجَسَدُ الراوى شِعْراً...
أنتِ الجَسَدُ الصائغُ أدَبَا.
أنتِ قَوَامٌ تاريخىٌ.
يروى قِصَصَاً.
يعزفُ نايا.
يكتُبُ كُتُبَا.

٢

ماذا سوفَ أُضيفُ إلى أمجادكِ
يا سيِّدتى؟
أنتِ امرأةٌ تُقْلِقُ عصراً.
تُقْلِقُ لغةً.
تُشعِلُ فى الكلماتِ اللَهَبا.
تُطْلِعُ شَمْسَاً من عينَيْها.
تُطْلِعُ قَمْحاً من إبْطَيْها.
تُطْلِعُ من سرَّتِها ذَهَبا.

٣

أنتِ امرأةٌ ليسَتْ تُنْسَى.
أنتِ الفَرَحُ الآتي من أشياء الأُنْثَى.
أنتِ القَمَرُ الطالعُ من أعماق حقيبتِها.
أنتِ الحَجَلُ النائمُ في طيَّاتِ ضَفيرتِها..
أنتِ السَمَكُ الراقصُ فوق مياه أصَابِعِها.
أنتِ الأصْلُ.. وكلُّ ذُكُور العالمِ
ليسُوا فوقَ قميصكِ إلاّ زَغَبَا!!.

٤

يا واحدَتي:
إنّكِ وجهٌ إغريقيٌّ لا يتكرَّرْ.
حالةُ شعْرٍ لا تتكرَّرْ.
نَوْبَةُ صرْعٍ لا تتكرَّرْ.
أنتِ ثقافةُ هذا العَصْرِ..
وأنتِ الشعرُ، وأنتِ النَثْرُ.
وأنتِ البرُّ، وأنتِ البحرُ.
وأنتِ فتافيتُ السُكَّرْ.

أنتِ حضارةُ هذا الكونِ،

وأنتِ الخيرُ، وأنتِ العدلُ،

وأنتِ هلالُ الحبّ الأخضَرْ...

يا آتيةً من ألوان الطَيْفِ..

ومن رائحة الصيفِ

ومن عَبَقِ الزَعْتَرْ.

يا مَنْ نأكُلُ من أشجار أنُوثتِها..

يا من نقطُفُ من شَفَتَيْها..

لوزاً..

خوخاً..

تيناً..

عِنَبَا..

الحبُّ.. نهارَ الأحَدْ

١

أُحِبُّك جداً.
وأكرهُ جداً.. إجازةَ يوم الأحَدْ.
وأكرهُ أن نتوقَّفَ عن حُبِّنا
ولو ساعةً واحدَهْ..
ولو لحظةً واحدَهْ..
فكلُّ الإجازات في الحبِّ وهْمٌ
وكلُّ الرحيلِ بلا فائدَهْ.
ففي جَبْهَة الحُبِّ لا يستريحُ المُحَاربْ.
وفي ثورة البحرِ.. لا تستريحُ المراكبْ...

٢

أُحِبُّك جداً..
وأكرهُ أيَّ نهارٍ يُصادرُ وجْهَكِ منّي.
وصَوْتَكِ منّي.
وفِضَّةَ نهدَيْكِ منّي.
وأرفضُ أن لا تكُوني أمامي

وأن لا تنامى ببُؤبُؤِ عَيْنى.
وأخشى بأن يسرقوا الوقتَ منّا
فيسقُطُ بعضُ الأُنُوثةِ منكِ...
ويسقُطُ شيءُ من الشِعْرِ منّى...
يُريدُونَ أن أستريحَ قليلاً
من الحبِّ.. يومَ الأحَدْ..
ومن قال إنى تعبتُ من الموت عِشْقاً؟
وإنى اسْتَقَلْتُ من الرقْص فوق اللهَبْ؟
فكيف أُبَرْمِجُ قلبى
لكىْ لا يُحبَّكِ يومَ الأحَدْ؟
وكيف أُعَلِّمُ ثغرى
بأن لا يَبُوسَكِ يومَ الأحَدْ؟
وكيفَ أُدَرِّبُ صبرى على الصَبْرِ يومَ الأحَدْ؟
وكيف أقولُ لشِعْرى: انتظرْنى
لما بعدَ يوم الأحَدْ؟.
وكلُّ نهارٍ به لا أراكِ.. أبدْ!!..

٤

أُحبُّكِ جداً..
ويُقلقنى أن يمرَّ نهارٌ
ولا تُحدثيَن به خَضَّةً فى حياتى..
ولا تُحدثين انقلاباً بشِعْرى
ولا تُشعلينَ الحرائقَ فى كَلِمَاتى...

٥

أُحبُّكِ جداً
ويُرعبنى أن تمرَّ عليَّ الدقائقْ
ولا أتوسَدُ فيها حريرَ يدَيكْ
ولا أتكوَّمُ مثلَ الحَمَام على قُبّتَيْ ناهديْكِ
ولا أستحمُّ بضوء القَمَرْ..
كلامُكِ شعرٌ.
وصمتُكِ شعرٌ.
وحبُّكِ يركضُ كالبَرْق بين عُروقى
ويضربُ مثلَ القضاءِ ومثلَ القَدَرْ..

٦

أعاقَبُ مثلَ التلاميذِ يومَ الأَحَدْ.
فلا رحلةٌ نحو ثلج الشَمالْ..
ولا سَفَرٌ نحو بحر الجَنُوبْ..
ولا نزهةٌ فى العُيُون الكبيرَهْ.
ولا فرصةٌ كى أنامَ لخمْسِ دقائقَ..
تحت حرير الضفيرَهْ..
وخمسِ دقائقَ..
فوقَ سرير الأميرَهْ...
أيا امرأةً.. فى يَدَيْها تفاصيلُ عُمْرى
تُرى مَنْ أكونْ؟
إذا ما أخذتِ شُؤونى الصغيَرهْ؟..
أُحِسُّ بأنَّ جرائدَ يوم الأَحَدْ
تحاصرنى فى الصباح كعاصفةٍ عاتيَهْ..
وأشعرُ أنّى بدونكِ كالنَحْلة العاريَهْ.
أضيعُ بلندن شرقاً وغرباً
ويبقى حنينى إلى الباديَهْ...

٨

طويلٌ.. طويلٌ.. نهارُ الأحَدْ.
ثقيلٌ.. ثقيلٌ.. نهارُ الأحَدْ..
ولندنُ مشغولةٌ بطلاقِ (ديانا)...
وخائفةٌ من (جُنُون البَقَرْ)!!.
فلا الباصُ يأتى كما كان يأتى..
ولا الشعْرُ يأتى كما كان يأتى..
ولا قُرْطُك الذَهبيُّ الطويلْ
يوجهُ لى دعوةً للسَفَرْ...

٩

أحبُّكِ جداً..
وأشعرُ أن حضارةَ لندنَ -منذُ وصَلْنَا-
تنادى علينا..
وأن شوارعَها تتقاطعُ فوقَ يَدَيْنَا..
وأنَّ الغَمامَ، الحَمَامَ، الجسورَ،
زُهورَ البيوتِ، زُجاجَ الكنائسِ، عُشْبَ الحدائقِ،
حين نمرُّ.. تُشيرُ إلينا...

١٠

إلى أين نهربُ من سيف أشواقنا ؟
نهارَ الأحَدْ...
فلا قهوةٌ نحتسيها بأىِّ مكانْ.
ولا نَرْجسٌ نشتريهِ، ولا أُقْحُوانْ.
ولا كتُبُ الشعْر تضحكُ بين يَدَيْنا .
ولا لَمْسةٌ من حنانْ..
ولا قَدَحٌ من نبيذٍ، يغيِّرُ ألوانَ عينَيْكِ فى لحظةٍ..
ويمحو حُدُودَ الزمَانْ..

١١

إذا أنتِ لم تُمْطرى.
فمن أينَ يأتى المطَرْ؟
وإنْ أنتِ لم تحضَرى.
فليس يهمُّ حضورُ البَشَرْ..

١٢

إلى أينَ، سَيِّدتي، قد نقلتِ البَلَدْ؟
فلم تتركي حَجَراً واحداً.
ولم تتركي مطعماً واحداً.
ولم تتركي مسرحاً واحداً.
ولم تتركي متحفاً واحداً.
فكيف أواجهُ منفايَ وحدي؟
وأنتِ مليكةُ هذا البَلَدْ!!...

لندن أيار (مايو) ١٩٩٦

أنتِ لولا الشِعْرُ..
ما كنتِ بتاريخ النساءْ...

١

لم أزَلْ من ألفِ عامْ
لم أزَلْ أكتُبُ للناس دساتيرَ الغرَامْ.
وأُغَنِّي للجميلات،
على ألفِ مَقَام ومَقَامْ..
أنا من أَسَّسَ جُمْهُوريةً للحُبِّ
لا يسكُنُها إلاّ الحَمَامْ...

٢

لم أزَلْ من ألفِ عامْ
أحملُ الأُنْثَى على ظهْرِى
وأُرْسِيها على بَرِّ السَلامْ.
لم أزَلْ أعمَلُ كالنَحْلَةِ فى جَمْعِ الأزاهيرِ..
وتطبيعِ العصافيرِ..
وفى تزيين قاعاتِ الشأمْ..
أنا من ربَّيْتُ دُودَ القَزِّ فى أشجار نَهْدَيْكِ..
وحرَّكتُ أحاسيسَ الرَخَامْ...

٣

منذُ أن غنَّيْتُ أُولى كلماتى
وأنا أرفعُ شمسَ العشْقِ فى وجه الظلاَمْ
لم أنَمْ طيلةَ قَرْنٍ كاملٍ
يا تُرى، فى أى قَرْنٍ قادمٍ..
سوفَ أنامْ؟؟..

٤

قبلَ أن أكتبَ فى خصركِ شعْراً
لم يكُنْ عالُمنا يعرفُ ما ريشُ النَعَامْ...

٥

كنتِ، يا سيِّدتى، خَرْسَاءَ قَبْلى
وبفَضْلى...
صارت عيناك تُجيدان الكلامْ!!.

٦

فاشْكُرينى..
كلّما شاهدتِ أعضاءَكِ فى ماء المرايا..
فبدُونى لن يكُونَ القدّ قداً...
أو تكونَ الساقُ ساقاً..
أو يكونَ الكُحْلُ كُحْلاً..
أو يكونَ الوردُ وَرْدًا...
وبدُونى..
لن يكونَ الشَعْرُ إعصاراً.. وسيفاً يتحدَّى..
وبدُونى..
لن تَرَىْ فى كُتُب التاريخ عَفْراءَ وليلى..
أو تَرَىْ هنداً.. ودَعْدًا...

٧

وأشْكُرينى مرةً ثانيةً
كلّما جاءَ ربيعٌ أو شتاءْ..
فبدُونى لن تكُونى قَمَراً..
يسكُبُ الفضَّةَ والثلجَ على نار المساءْ..

وبدُوني..
لم يكُنْ ثَغْرُكِ مَرْسُوماً كخَطِّ الإستواءْ!!.

٨

يا التي رَصعَّتُ كشْمير يَدَيْها
بخُيوطٍ من قَصَبْ..
وحواشي ثوبِها
برُقَاقَات الذهَبْ..
والتي مرَّتْ كعصْفُورٍ ربيعيٍّ
بتاريخ الأدَبْ..
أشْكُرى الشعْرَ كثيراً..
أنت، لولا الشعْرُ، يا سَيِّدتي
لم يكُنْ إسْمُكِ مَذكُوراً
بتاريخِ النسَاءْ!!...

اللغة الأنثى

١

لُغَتى أنتِ..
التى يقرأُ فيها الناسُ عينيْكِ..
إذا هُمْ قَرأُوها.
ويَشمُّونَ بها رائحةَ الوَرْدِ الدمشقىِّ
إذا ما استَنْشَقُوها.
ويحطُّونَ على ثغركِ أسراباً من النَحْلِ،
إذا هُمْ سَمِعُوها..

٢

لُغَتى أنتِ.. التى أُشْبِهُهَا.
والتى تُشْبِهُنى.
والتى تَسْكُنُنى.
مثلما أسكُنُ فيها..
والتى إنْ ضيَّعونى
وجَدُوا عينيْكِ فيها...

٣

لُغَتى أنتِ.. التى شَكَّلْتُها
من مياه الأنهرِ السَبْعة فى الشامِ،
ومن دَوْزَنَة الرَصْدِ،
وتقسيمِ المواويلِ.. وموسيقى البيَاتْ..
لغةٌ أسْبَحُ فى إيقاعها
مثلما الأسماكُ فى نهر الفُراتْ...

٤

أغتى أنتِ.. التى لا لُغَةً تُشْبِهُهَا
بين آلاف اللُغَاتْ. لغةٌ مَنْسوجةٌ من وبَر الخَوْخِ..
ومن دمع الكَمَنْجَاتِ.. ومن غَزْل البَنَاتْ...
لُغَةٌ مَنْقُولةٌ عنكِ
فَطُولُ الشعْرِ واحدْ...
ومحيطُ الخَصْرِ واحِدْ..
وامتلاءُ الثغر واحِدْ..
وجُنُونُ الصدر واحِدْ..
وصُراخُ الحمَامَاتْ!!.

٦

لُغَتي أنتِ.. التي ألبسُها في عُنُقي
مثلَ القِلادَهْ.. والتي أحفظُها عن ظهر قلبٍ
قبلَ لحْظَاتِ الولادَةْ...
والتي جَمَّلْتُها بالشِعْرِ أثناءَ الوِلادَةْ..
ووضعتُ الذَهبَ المشغولَ في مِعْصَمِها
بعدَ تاريخ الولادَهْ...

٧

لُغَتي أنتِ التي لَمْلَمْتُها
من بُخارى.. وسَمَرْقَنْدَ..
وكشميرَ.. وتبريزَ.. وبغدادَ..
وأسواقِ دمشقٍ.. وَمَزَاراتِ النَجَفْ..
والتي رصَّعْتُها بدُموعي.. كأباريق الخَزَفْ...

٨

يا التي صَارَتْ بشِعْري لغةً...
وبنثري لغةً.. وبعِشْقي لُغةً..

سافرى شرقاً وغرباً..
وشمَالاً وجَنُوباً..
سافرى حتى نهاياتِ السَفَرْ..
إنَّ أشعارى التى غنَّيتُها لكِ يا سَيِّدتى
سوفَ تُعطيكِ جوازاً للسَفَرْ!!..

٩

لُغَتى انتِ..
وكم يُسْعِدُنى أن أُحِبَّ امرأةً..
هى من أحلَى.. ومن أرْقَى..
ومن أصفى اللُغَاتْ..
لُغَتى الأُمُّ التى تُشْعِرُنى
أنّنى مازلتُ موجوداً على قَيْد الحياةْ...

١٠

كَلِماتى أنتِ..
إنْ لم تَزْرَعيها بينَ عينيك..
فلا معنى لكُلِّ الكلماتْ!!.

لندن أيار (مايو) ١٩٩٦

إمْنَحيني الحُبَّ.. كي أصبحَ أخْضَرَ..

١

إسْمَعيني جيِّداً..
إسْمَعيني جَيِّداً..
أنا في حالة عشْقٍ، ربَّما لا تتكرَّرْ.
حَالَةٍ شِعْريةٍ.. صُوفيّةٍ..
رائعةٍ في حُزْنِها
وأنا دوماً بِحُزْني أتعطَّرْ...

٢

عَانِقيني جيِّداً...
أنا في حال انْعِدَام الوَزْنِ.. يا سَيِّدتي.
فعروقي تتلاشى.. وعظامي تتبخَّرْ..
إغْسلِي شَعْرَكِ في نهر جُنُوني..
فجُنُونُ الحُبِّ.. شيءٌ لا يُفَسَّرْ...

٣

إقْرأينى جيِّداً...
فأنا أبحثُ عن قارئةٍ مَهْوُوسَةٍ
تَضَعُ الأشعارَ فى معْصَمِها
مثلَ الأساورْ..
وترى العَالمَ مرسُوماً على صورةِ شاعِرْ..

٤

إسْكَرى بى..
إسْكَرى بى..
إسْكَرى حتى يصيرَ البحرُ ورديّاً..
نبيذياً.. رماديّاً.. وأصفَرْ..
كَمْ جميلٌ أن تُضيعَ امرأةٌ
عقلَها فى حضرةِ الشِعْرِ.. وتَسْكرْ...

٥

أنا فى أجملِ حَالاَتى..
وفى أزهى حضاراتى..

وكم يُعجبنى أن أتحضَّرْ..
فامنحينى فرصةً أخرى، لكى أكتبَ التاريخَ..
فالتاريخُ، يا سَيِّدتى، لا يتكرَّرْ...

٦

إنّنى بالحُبِّ غيَّرتُ زَمَانى
مثلما غيَّرتُ تاريخَ الأُنُوثَهْ...
ما هو الشعْرُ إذا لم يُغَيِّرْ؟
مَنْ هو الشاعرُ إنْ لم يَتغيَّرْ؟

٧

كلّما زادَتْ أقاصيصُ الهوى
فى بلادى قِصّةً..
تَحْبَلُ الوردةُ طيبًا..
وهلالُ الصيفِ، يكْتَظُ حليبًا...

٨

يا التى جاءتْ إلى ذاكرتى
من بياض الياسمينْ.

من سَوَاقي الماء في غَرْناطةٍ
ودُمُوعِ الماندولِيْن.
ما الذي يمكنُ أن نفعلَهُ؟
البيانُو غارقٌ في دمعهِ.. والمواني كلُّها مُغْلَقَةٌ ونبيذُ البحر أحمَرْ..
ليس عندي للهوى خارطةٌ..
فهو يوماً وردةٌ في عُرْوَتي.
وهو يوماً في فراش الْحُب خِنْجَرْ..
وهو يوماً جَمْرَةٌ تُحْرِقُني..
وهو يوماً في فمي.. قِطْعَةُ سُكَّرْ...

٩

منذُ خمسينَ سَنَةْ..
وأنا أقفزُ من لُغْمٍ إلى لُغْمٍ..
وأدعو أُمّتي كي تتغيَّرْ...
لم أُفجِّرْ حائطَ القُبْحِ -كما خُيِّلَ لي-
إنّما كنتُ بناري أتفجَّرْ...

١٠

منذُ خمسينَ سَنَهْ..
لم أقابِلْ ظَبْيَةً تهرُبُ من صَيَّادِها..
أو عرفتُ امرأةً راغبةً أن تتحرَّرْ!!.

١١

إنَّ ما يُذهِلُني.. كلما جئتُ إلى موعدنا
أنَّ لونَ الوقْتِ في ساعاتِنا..
أصبحَ أخْضَرْ..
وبأنَّ البُنَّ في قَهْوَتِنا أصبحَ أخْضَرْ..
وبأنَّ الشوقَ في أحداقِنا..
أصبحَ أخْضَرْ...

١٢

ما الذي يجري بتاريخي..
وتاريخِكِ، يا سَيِّدتي؟
كلَّما وزَّعْتُ قُبْلاتي على شَعْرِكِ..
طالَ الشَعْرُ أكثَرْ!!..

١٣

إنَّ ما يُدْهِشُنى..
ذلكَ الإحساسُ فى كُلِّ صباحٍ
أنَّ ما أبْصِرُهُ يُصبح شِعْرا...
أنَّ ما ألمَسُهُ يصبحُ شِعْرا...
أنَّ أشيائى وأشياءَكِ -مهما صغُرَتْ-
تُصْبح شِعْرا...
ركْوَةُ القهوةِ، فى حال الهوى- تُصبحُ شِعْرا...
كُتُبُ الشعْرِ التى تُعجبنا..
ضِحْكَةُ البُرْنُس فى الحمَّامِ...
صوتُ الماءِ ينسابُ على سِلْسِلَة الظهْرِ سعيداً..
آلةُ التسجيلِ..
تَنْويعَاتُ شُوبانٍ..
إضاءاتُ مُوزَارْتٍ..
ومَذَاقُ القُبْلة الأولى على الريقِ..
وغَوْصُ القَدَمِ البيضاءِ فى الموكيتِ..
لَمْسُ الشَعْرِ بالفُرْشاةِ..
وضْعُ الكُحْلِ فى زاويةِ العينْينِ..

ماذا تبقّى؟

كى يصيَر الكونُ موسيقىَ وشِعْرا؟؟

تلكَ صَفْحاتُ من التاريخ، يا سيِّدتى

أبَداً لَنْ تتكرَّرْ...

أبَداً لَنْ تتكرَّرْ...

ما الذى ينتابُنى فى هذه الأيَّامِ، يا سَيِّدتى؟

كلُّ ما أقرؤهُ يصبحُ أخضَرْ..

كلُّ ما أكتبُهُ يصبحُ أخضَرْ..

لغتى خضراءُ..

والأسماءُ..

والأفعالُ..

والهَمْزاتُ..

والفَتْحَاتُ..

والضَمَّاتُ..

والإيقاعُ أخْضَرْ..

وعَرُوضُ الشِعْرِ أخْضَرْ...

١٥

ما الذى قد خَلطَ الألوانَ فى أعيُنِنا ؟
إنْ تكلّمنَا على الهاتفِ..
صار الصوتُ أخضَرْ..
أو تمدَّدنا على الديوانِ..
صارَ القَمْحُ فى إبْطَيْكِ أخضَرْ..
أو تسكّعنَا على أرصفةِ الحُزْنِ..
وجَدْنا أن لونَ الحُزنِ أخضَرْ..
أو جلسنا مرةً فى أيِّ مقهى..
أصبحَ النادلُ من عطركِ أخْضَرْ!!...

١٦

آهِ.. يا سيِّدةَ الماءِ التى تأخُذُنى
للينابيعِ..
وتُهدينى نُجُوماً.. وكُرُوماً.. وصنوبَرْ..
ألفُ شكرٍ لعطاياكِ.. فإنّى
عشتُ فى التيهِ طويلاً..
ثمّ أصبحتُ -بفَضْلِ الحُبِّ- أخْضَرْ!!...

لندن نيسان (ابريل) ١٩٩٦

حبٌ.. بلا حدودٍ..

١

يا سيِّدتي:
كُنتِ أهمَّ امرأةٍ في تاريخي
قبلَ رحيل العامْ.
أنتِ الآنَ.. أهمُ امرأةٍ
بعدَ ولادة هذا العامْ..
أنتِ امرأةٌ لا أحسبُها بالساعاتِ وبالأيَّام
أنتِ امرأةٌ..
صُنِعَتْ من فاكهة الشِّعْرِ..
ومن ذَهَبِ الأحلامْ..
أنتِ امرأةٌ.. كانتْ تسكُنُ جَسَدي
قبلَ ملايينِ الأعوامْ...

٢

يا سَيِّدتي:
يا المغْزُولةُ من قُطْنٍ وغَمَامْ.
يا أمطاراً من ياقُوتٍ..

يا أنهاراً من نَهَوَنْدٍ..

يا غابات رَخَامْ..

يا مَنْ تسبحُ كالأسْمَاكِ بماء القلبِ..

وتسكُنُ فى العينَيْنِ كسِرْبِ حَمَامْ.

لن يتغيَّرَ شئٌ فى عاطفتى..

فى أحاسيسى..

فى وجدانى.. فى إيمانى..

٣

يا سَيِّدتى:

لا تَهْتمّى فى إيقاع الوقتِ، وأسماءِ السَنَواتْ.

أنتِ امْرأةٌ تبقى امرأةً.. فى كُلّ الأوقاتْ.

سوفَ أُحبُّك..

عند دُخُولِ القَرْن الواحدِ والعشرينَ..

وعند دُخُول القَرْن الخامسِ والعشرينَ..

وعند دُخُولِ القَرْن التاسعِ والعشرينَ..

وسوفَ أُحبُّك..

حين تجفُّ مياهُ البَحْرِ..

وتحترقُ الغَابَاتْ..

٤

يا سَيِّدتى:
أنتِ خُلاصَةُ كُلِّ الشعْرِ..
ووردةُ كُلِّ الحُريَّاتْ.
يكفى أن أتهجَّى إسْمَكِ..
حتى أُصبحَ مَلِكَ الشعْرِ..
وفِرْعَونَ الكلماتْ..
يكفى أن تعْشَقَنى امرأةٌ مثلُكِ..
حتىّ أدخُلَ فى كُتُبِ التاريخِ..
وتُرْفعَ من أجلى الرايَات...

٥

يا سَيِّدتى:
لا تضطربى مثلَ الطائرِ فى زَمَنِ الأعيادْ.
لَنْ يتغيَّرَ شئُ منّى.
لَنْ يتوقّفَ نهرُ الحُبِّ عن الجَرَيانْ.
لَنْ يتوقَّفَ نَبْضُ القلب عن الخَفَقانْ.
لَنْ يتوقّفَ حَجَلُ الشعْرِ عن الطَيَرانْ.

حينَ يكونُ الحبُ كبيراً..
والمحبُوبةُ قَمَراً..
لَنْ يتحوّلَ هذا الحُبُّ
لحُزْمَةِ قَشٍّ تأكُلُها النيرانْ...

٦

يا سَيِّدتي:
ليسَ هنالكَ شيءٌ يملأُ عَيْني
لا الأضواءُ..
ولا الزيناتُ..
ولا أجْرَاسُ العيدِ..
ولا شَجَرُ الميلادْ.
لا يَعْني لي الشارعُ شيئاً.
لا تَعْني لي الحَانَةُ شيئاً.
لا يَعْنيني أيُّ كلامٍ
يُكْتَبُ فوق بطاقاتِ الأعيادْ..

٧

يا سَيِّدتى:
لا أتذكَّرُ إلاّ صوتَكِ
حين تدقُّ نواقيسُ الآحادْ.
لا أتذكَّرُ إلا عطرَكِ
حين أنامُ على وَرَق الأعشابْ.
لا أتذكَّرُ إلا وجْهَكِ..
حين يُهَرْهِرُ فوق ثيابى الثلجُ..
وأسمَعُ طَقْطَقَةَ الأحطابْ..

٨

ما يُفْرِحُنى يا سَيِّدتى
أن أتكوَّمَ كالعُصْفُور الخائفِ
بين بساتينِ الأهدابْ...

٩

ما يَبْهُرُنى يا سَيِّدتى
أن تُهدينى قَلَماً من أقلام الحِبْرِ..

أعانقهُ..
وأنامُ سعيداً كالأولادْ...

١٠

يا سيِّدتى:
ما أسْعَدَنى فى مَنْفَاى
أَقَطِّرُ ماءَ الشِعْرِ..
وأشربُ من خَمْرِ الرهبانْ
ما أقْوَانى..
حينَ أكونُ صديقاً
للحريّةِ.. والإنسانْ...

١١

يا سَيِّدتى:
كم أتمنّى لو أحببتُكِ فى عصر التَنْويرِ..
وفى عصر التصويرِ..
وفى عصر الرُوَّادْ.
كم أتمنّى لو قابلتُكِ يوماً
فى فلورَنْسَا.

أو قُرْطُبةٍ.
أو فى الكُوفَةِ.
أو فى حَلَبٍ.
أو فى بيتٍ من حَارَاتِ الشَامْ...

١٢

يا سَيِّدتى:
كم أتمنّى لو سافرنا
نحو بلادٍ يحكُمُها الغِيتَارْ.
حيثُ الحبُّ بلا أسوارْ.
والكلمَاتُ بلا أسوارْ.
والأحلامُ بلا أسوارْ.

١٣

لا تَنْشَغِلى بالمستقبلِ، يا سَيِّدتى
سوفَ يظلُّ حنينى أقوى مما كانَ..
وأعنفَ مما كانْ..
أنتِ امرأةٌ لا تتكرَّرُ.. فى تاريخ الوردِ..
وفى تاريخِ الشعْرِ..
وفى ذاكرة الزنبق والريحانْ...

١٤

يا سيِّدةَ العَالَم:
لا يُشْغِلُنى إلا حُبُّكِ فى آتى الأيَّامْ.
أنتِ امْرأتى الأولى.
أمِّى الأولى.
رَحِمى الأوَّلُ.
شَغَفى الأوَّلُ.
شَبَقى الأوَّلُ.
طوقُ نجاتى فى زَمَن الطُّوفَانْ...

١٥

يا سَيِّدتى:
يا سَيِّدةَ الشعْرِ الأُولى.
هاتى يَدَكِ اليُمْنَى كى أتخبَّأ فيها..
هاتى يَدَكِ اليُسْرَى..
كى أستوطنَ فيها..
قُولى أىَّ عبارة حُبٍّ
حتى تبتدئَ الأعيادْ...

لندن ١ كانون الثانى (يناير) ١٩٩٥

سايكولوجيّة قِطّة...

١

فيكِ كُلُّ طباع القِطَط المتوحشّةْ
وعدوانيّةُ سَمَك القِرْشْ..
ليس لكِ وطنٌ نهائىٌ..
ولا رجُلٌ نهائىٌ..
شَهَواتُكِ مؤقَّتَةْ وعُشّاقكِ مؤقّتُونْ
وإقامتُكِ المعروفةْ
هى تحتَ معاطف الرجالْ..
وفى غمائم التبغْ.. ورائحةِ القهوَةْ...

٢

عيناك.. لا يعترفان بالجُغْرَافيا...
ولا يلتزمانِ بقواعد المُرُورْ..
ليس من السهل تعليبُكِ
لأنَّ الريحَ لا تُعلَّبْ.
ولا من الممكن اعتقالُ أُنوثتكِ
لأنَّ البَرْقَ.. لا يُوضَعُ فى قارورة.

لا تستقرّينَ على غصن شَجَرةْ
ولا على ذراع رَجُلْ..
تلهثينَ وراءَ كُلِّ القطاراتْ
وليسَ لكِ أرْصِفَةْ..
وتُبْحرينَ على كُلّ السفُنْ.. وليس لكِ مَوَانئْ..
وتُصاحبيَن قبائلَ من الرجالْ
ولكنَّهُمْ في آخر الليلْ.. ينامُونَ في حقيبة يَدِكْ..

٣

لا أُريدُ تحديدَ إقامتكْ
فصعبٌ جداً.. تحديدُ إقامَةِ العصافيرْ..
ولا أرغبُ في رَسْم مساراتكْ
فَنَهْداك يقتحمان البحرَ بلا بُوصلَةْ..
وعطرُكِ يخترقُ رُجُولةَ الرجالْ
كأشعّة اللايزرْ...

٤

لستِ بحاجةٍ إلى معارفي
فَأنْتِ مَوْسُوعَةُ عِشقْ...
ولستِ بحاجةٍ إلى حكمتي

وأيديولوجيّاتى المسرُوقةِ من الكُتُبْ
إنَّ جَسَدك يصنَعُ قوانينه
كما يُفْرِزُ الثَدْىُ حليبَهْ...
والنَحْلَةُ عَسَلَهَا.. والقصيدةُ مُوسيقاها...

٥

لا أريدُك أن تتخلَّىْ
عن شَعْرةٍ واحدةٍ من بُوهيميَّتِكْ
أو عن ظفرٍ واحدْ.. من أظافركِ المتوحشَّةْ.
لا أريدُك أن تستبدلى جِلْدَكِ
بجِلْدٍ جديدْ.
أو أن تتخلَّىْ عن فصيلة دمِكْ
وفَوْضَاكِ الرائعةْ.. ففوضاكِ نظامْ...
وجُنُونُك..
هو أرقى حالةٍ من حالات العقلْ...

٦

إنّنى أقْبَلُكِ كما أنتِ..
بخُبْثكِ.. ومَكْرِكِ...

وبَهْلَوانيّاتِكِ.. وتعدُّدِيتِكْ...
لن يُفيدَ معكِ اللُّطْفُ.. ولا العُنفْ...
ولا إصلاحيَّاتُ الأحداثْ..
فقد خَلَقَكِ اللهُ هَكَذَا...
وخَلَقَكِ الشعْرُ هكذا...
وأيَّةُ محاولةٍ لقَتْلِكْ
ستكونُ قَتْلاً للحُريّةْ..
واغتيالاً للشعْرِ...

٧

لستِ بحاجةٍ إلى ثورتى
لتُغيِّرى هذا العالَمْ..
ولستِ بحاجةٍ إلى شعْرى
لتُغَيِّرى لونَ البحرْ..
فمن أنوثتكِ يبدأ كلُّ شئْ..
وبأنوثتكِ ينتهى كُلُّ شئْ..

فــى الشِعْــرْ

١

هُوَ شَاعِرْ
إنَّهُ سيثقُبُ الفضاءْ
بإبْرةِ الشعْرْ...

٢

هُوَ شَاعِرْ
البَرْقُ منزُلُه
والبَحْرُ سيرتُهُ الذاتيّةْ...

٣

هُوَ شَاعِرْ
كُلَّمَا خَرَجَ من فُنْدُق كَلِمَاتِهْ
وَجَدَ سيَّارةَ البوليس بانتظارِهْ...

٤

هُوَ شَاعِرْ
ينزلُ من بطن أُمِّهْ
وفي يدِهِ..
عريضةُ احتجاجْ
وعُلْبَةُ كبريتْ...

٥

هُوَ شاعِرْ
يُحْرِقُ كلَّ يومٍ ذاكرتَهْ
ويتدفَّأُ عليها...

٦

هو شاعِرْ
يركبُ درّاجَةَ الطُفُولَةْ
ويمدُّ لسانَهْ
لكُلِّ إشارات المُرُورْ..

٧

هُوَ شَاعِرْ
إنَّهُ يُقنعُ الأشيَاءْ
أن تغيَّرَ عَادَاتِها...

٨

هُوَ شاعِرْ
يُعلِّمُ أشجارَ الغابَةْ
أن تسيرَ فى مُظَاهَرَةٍ
من أجل الحُرِيَّةْ

٩

هُوَ شاعِرْ
كُلَّما ظَهَرَ فى أُمْسِيَةٍ شعريَّةْ
أطلقوا عليه القنابلَ
المُسِيلَةَ للأحْزَانْ...

١٠

هو شَاعِرْ
تزوَّج الحُرِيَّة زوَاجاً مدنيًّاً
وأنْجَبَ أولاداً...
شَعْرُهُمْ بلون السنابلْ
وعُيُونُهُمْ بلون البحرْ...

١١

هُوَ شاعِرْ
لذا، يطلبُونَ منه، أن يقدِّمَ تقريراً
عن عَدَد أصابِعِهْ..
كُلَّ يَومْ...

١٢

هل الشّعرُ،
هُوَ ديوانُ العَرَبْ
أم هو محكمتُهُمْ العسكريَّةْ؟؟

١٣

باسْتِثْنَاءِ بعضِ الكبارْ
فى تاريخنا الشعرىْ
فإنَّ الشعراءَ العَرَبْ
كَتَبُوا قصيدةً واحدَةْ
ووقَّعُوا عليها جميعاً
بالأحرُفِ الأولى...

١٤

فى تاريخ الشّعرْ العربْى
ثمَّةَ مراحِلُ هابطةْ
كانَ فيها الشُعَراءْ
ينزلونَ فى فُنْدُقٍ واحدْ..
ويأكُلُونَ مِنْ صحنٍ واحدْ..
ويناموُنَ فى سرير واحدْ...
ويُنْجبُونَ أولاداً متشابهينْ...

١٥

فى الشِّعْر..
لسنا بحاجة إلى لباسٍ موحَّدْ
وقماشٍ موحَّدْ..
ولونٍ موحَّدْ..
فالشعر ليسوا جنوداً.. ولا ممرِّضَاتْ
ولا مُضيفات طيرانْ...
إنَّ اللباسَ المُوحَّدَ فى الشِّعْر
سيجعلُ من الشعراء العَرَبْ
فريقاً لكُرَة القَدَمْ...

١٦

الشاعرُ الحديثْ..
هو الذى يستقيلُ من الجَوْقَة الموسيقيَّةْ
وسُلْطَةِ الإيقاع العامْ..
ليؤلِّفَ قصيدتَهُ الخاصَّةْ...

عَوَاصِفنا الجميلة

لنا مزاجيَّةُ البحرْ
وجُنونُهُ.. وتحوُّلاتُهْ
ولنا أيضاً.. مُرَاهقَةُ الزبَدْ..
وحَمَاقَةُ الأمواجْ..
نقاتِلُ بعضَنا بعضاً
ونكسِرُ بعضنا بعضاً
وعندما تهدأُ العاصفَةْ
نَتَدَحْرَجُ على الرملْ
كطفلَين في عطلتهما المدرسيَّةْ...

فى الفنّ المعمارى

أنتِ النصُّ الذى لم يُكْتَبْ مثلُهُ.. بَعْدْ...
وبقيَّةُ النساء هوامشْ.
أنتِ الجَسَدُ المدروسْ
نُقْطةً نُقْطةْ.
وخَطَّاً خَطّاً.
وزاويةً زاويةْ.
وبقيَّةُ الأجسادْ
محاولاتٌ معماريَّةٌ متواضِعَةْ
أنتِ السمفونيَّةُ الكُبْرى
وبقيَّةُ النساءْ،
دَوْزَنَاتْ....

طموحُ الوردة

لو كانَ لدى الوردهْ،
مطبعةٌ...
وناشِرْ..
لأصْدَرَتْ ديوانَ شِعْر...

عطــر

عِطْرُ المرأةْ
فضيحةٌ علنيَّةْ
لا تَهْتَمُّ بتكذيبها....

نداء.. نداء.. نداء..

أنا واقعٌ فى وَرْطَتَيْنِ كبيرتَيْنِ
فحاولى، أن تُنْقِذِينى
إنَّ الطريقَ إلى الكتابَةِ،
كالطريقِ إلى الجُنُونِ!!

لكي أتذكَّر باقي النساءْ...

حَرامٌ عليكِ..
حَرامٌ عليكِ..
أخَذْتِ ألوفَ العصافير منّي
ولونَ السَمَاءْ..
وصادَرْتِ من رئتيَّ الهواءْ
أريدُكِ..
أن تمنحيني قليلاً من الوقتِ،
كَيْ أتذكّر باقي النَسَاءْ...

المَعّلــم

لِشَعْرِكِ
فَضْلٌ عظيمٌ عليَّ
يشابهُ فَضْلَ السَحَابَةْ
فمنهُ تعلّمتُ عِلْمَ الكلامْ
وعنهُ أخذتُ أُصُولَ الكِتَابَةْ...

إلى صديقةٍ خائفة

لا تَعْبَأى..
إنْ ردَّدُوا أسماءَنا
فى هذه المدينةِ الثَرْثَارةِ.. الواشيَةِ..
القبيحَهْ..
فليسَ فى العالم ما يُطْرِبُنى
أكثرَ من أنْ يَقْرعُوا من حولنَا
كُلَّ صباحٍ،
جَرَسَ الفضيحَهْ...

إذا...

إذا قالت امْرَأَةٌ
إنَّها ستُحبُّكَ حتَّى الأبَدْ..
وإنَّكَ زَيْنُ الرجالِ
فلا قَبْلَكَ كانَ أَحَدْ
ولا بَعْدَك..
سوفَ يكونُ أَحَدْ.

فلا تطمئنَّ كثيراً إليها،
لأنَّ الدقيقةَ عند النساءِ،
أبَدْ...

الثقــوب

يسقُطُ الرجُلُ
في أوّلِ حفرةٍ نسائيَّةٍ تصادفُهْ
إنّ تاريخَ الرَجُلْ
هو تاريخُ السُقُوط في الثُقُوبْ...

الدُمْيــة

أخاطبُ عَقْلَكِ من غير طائِلْ..
أُخَاطِب فِكْرَكِ من غير طائلْ...
أخاطِبُ فيكِ الثقافةَ..
من غير طائِلْ..
ولكنّني، لا أرى غيَرَ جِسْمٍ مُثيرٍ
وأسمَعُ في قَدَمَيْكِ
رنينَ الخلاخِلْ...

على الطبيعة

محاضراتُك الطويلةُ عن الحُبْ
وأنتِ مُتَمَدِّدةٌ أمامى على شاطئ البحرْ
كسُنْبُلةٍ من الذَهَبْ..
تُشَوِّشُ أفكارى.
أُسْكُتى قليلاً..
حتى أتمكّنَ من مُذاكرة دُرُوسى
على الطبيعةْ...

سَـفر

الوَرَقَةُ البيضاءُ..
أمامى.
تذكرةٌ مفتوحَةْ
للسَفَر حولَ العَالَمْ...

ذهبت.. ولم تعد...

في تعاملي مع النساءْ..
كنتُ دائماً
من أنصار المدرسة الإنطباعيَّةْ
كلُّ امرأةٍ..
حدَّثتها عن جمال الفِكْر الصوفيّْ
وتجلّياتِ جلال الدين الرُومّيْ.
وفريد الدين العطّارْ. ومحي الدين بن عربّيْ.
ذَهَبتْ... ولم تَعُدْ....

شمُوس

تذهبُ المرأةُ السويديَّةُ.. إلى البحرْ..
لتصبغَ جلدَها كالنساء الإفريقيَّاتْ...
من الذي يستطيعُ أن يُقْنعَها
أن صِبَاغَ الجِلدْ
مختلفٌ عن صِباغ الأعماقْ
وأنَّ أشعَّةَ الشمس وحْدَها،
لا تَصْنَعُ امرأةْ....

افتراضياتٌ رماديّة..

١

صَعْبٌ عليْ.
صَعْبٌ عليَّ كثيراً.
أن أتصوَّرَ عالماً لا تكُونينَ فيهْ.
صَعْبٌ عليَّ أن أتصوَّرْ
بحراً لا يلبسُ قُبَّعتَهُ الزرقاءْ..
أو قَمَراً لا يستحِمُّ برَغْوَةِ الحليبْ..
أو نَجْمَةً لا تلبسُ أساورَها..
أو بَجَعَةً، لا تحترفُ رقْصَ (الباليهْ).

٢

صَعْبٌ جداً...
أن تدورَ الكواكبُ،
دونَ إشارةٍ مِنْكِ..
وأن ترتفعَ السنابلْ،
وتتكاثرَ الأسماكْ،
وتُثرثرَ الضفادعُ النهريَّةْ،

وتُغنّى صراصيرُ الغابةْ،
وتستديرَ أكوازُ الصُنَوبَرْ،
وتشتعلَ أشجارُ الكَرَزْ،
دون إشارةٍ منكْ.
صعبٌ جداً.
أن يكونَ هناكَ فصولٌ أربعةْ..
إذا لم تقرأى عليها مزاميركِ..

٣

صَعْبٌ جداً..
أن تنجحَ ثورةٌ،
لا تحملُ بَصَماتِ أهدابِكْ..
أو يَشْتَهِرَ رَجُلٌ
خارجَ بَرَكَاتِ أُنُوثتِكْ..
أو تطيرَ حَمَامَةٌ

٤

صَعْبٌ عليْ.
صَعْبٌ عَليَّ كثيراً..

أن أتصوَّرَ تاريخاً، لا يُؤرِّخُك..
وكتابةً لا تكتبُكِ..
ولغةً، لا تغَلْغَلينَ في مُفْرَدَاتِها
وقصيدةً، لا تُشكّلينَ إيقاعَها الرئيسيْ
صعبٌ، أن أتصوّر حضارةً
لا تشربُ من ينابيعكْ..
أو عَمَلاً تشكيليّاً لا يَسْتَلْهِمُكِ
أو منحوتةً من البرونز، أو الحَجَرْ..
لا تكون على مقياس جَسَدِكْ..

٥

صَعْبٌ عليْ.
صعبٌ عليَّ لا كثيراً.
أن أتصوّرَ بُلْبُلاً..
لا يدخُلُ إلى الكونسرفاتوارْ..
أو فَرَاشةً..
لا تدخُلُ أكاديميّةَ الفنون الجميلهْ
أو حَمَامةً..
لا تتكلّمُ سَبْعَ لُغَاتْ

أو وردةً لا تشتركُ

فى انتخابات ملكةِ جمال الكونْ..

٧

صَعْبٌ عليّْ

صَعْبٌ عليَّ كثيراً.

أن أتصوَّرَ زماناً لا تملأينَ ثوانيهْ..

أو مكاناً لا تملأينَ أبعادَهْ..

صعبٌ عليَّ أن أتصوَّرَ مقهى،

لا يحملُ رائحتَكِ..

وشاطئاً رَمْليّاً

لا يحملُ آثارَ أقدامِكْ.

٨

صَعْبٌ عليّْ.

صعْبٌ عليَّ كثيراً.

أن أتصوَّرَ

كيف يأتى الربيعُ، وتلا تكونينَ معهْ.

وكيف يتشكَّلُ قَوْسُ قُزَحْ..

ولا تكونينَ مَعَهْ..
وكيف يُشْرِقُ الشروقُ، ولا تكونينَ مَعَهْ..
وكيف يغربُ الغروبُ، ولا تكونيَن مَعَهْ..
وكَيفَ تُعْلِنُ الحمائمُ زفافَها على شبابيكنا..
ولا تكونينَ معى...

٩

صَعْبٌ..
أن أتحدثَ حادثةُ عِشْقٍ، فى أيَّامِنَا
لا تكونينَ وراءَها..
وصعبٌ أن يُوجَدَ نصٌّ رومانسيٌّ ناجحْ
لم تشتركى فى كتابتهْ..
وصعبٌ، أن تتفوّقَ عاشقةٌ على نَفْسِهَا
لم تتتلمَذْ على يَدَيْكِ

١٠

صَعْبٌ..
أن يجلسَ رجلٌ وامرأةٌ على طاولةْ
ولا تتدخَّلينَ فى صياغة حوارِهِمَا

١١

صَعْبٌ..
أن يَقْبَلَ عُمَّالُ النسيجِ
فى دمشقْ..
أن يصنَعُوا قميصاً من الحريرْ

١٢

صَعْبٌ..
أن يكونَ فى العالم عِطْرٌ
لا يُسْتَقْطَرُ من أزهارِكْ
وأن يكونَ هناكَ حليب لذيذ
لا يتدفَّقُ من عَناقيدكِ

١٣

صَعْبٌ..
أن يكتشفَ علماءُ الآثارْ
أبْجَديَّةً..
ليس فيها حُرُوفُ اسْمِكْ...

١٥

صعبٌ عليَّ أن أتصوَّرْ..
ماذا تفعلُ الشهورُ والأعوامُ.. بدونِكْ
وماذا تفعلُ أيَّامُ الآحَادِ.. بدونكْ
وماذا تفعلُ مقاعدُ الحدائقْ..
والمكتباتُ..
وأكْشَاكُ بيع الجرائدْ
ومقاهي الرصيفْ..
بدونِكْ..
صعبٌ عليَّ أن أتصوَّرْ..
ماذا تفعلُ يدايَ.. بدُونِكْ..

١٦

صَعْبٌ عليَّ -يا سيِّدتي-
صَعْبٌ جداً..
أن أتصوَّرَ شَكْلَ الشعْرِ،
بدُونِكْ..
وشَكْلَ الحُريَّةِ..
بدُونِكْ...

الصفحة الأولى

١

تتجوَّلِينَ فى هذا الكتابْ

كغَابَةٍ مُشْتَعِلَهْ

تُشْعِلِينَ الحِبْرْ...

تُشْعِلِينَ اللّغَهْ...

تُشْعِلِينَ يدى..

إصْبَعاً...

إصْبَعاً...

حتّى أصيرَ شَمْعَداناً

٢

تَفْتَحِينَ مَسَامَاتِ القصيدَهْ

وتدخُلِينَ فيها..

كما تفتحُ الراقصةُ الإسبَانيَّهْ

شِرْيانَ الليلْ،

وتدخُلُ فيهْ...

تَطْعنينَ الوَرَقَ الأبيضَ فى خاصِرَتِهْ

ينزِفُ الورقُ حماماً أبيضْ..
قُطْناً أبيضْ..
حُزْناً أبيضْ..
ومُوسيقَى بيضاءْ..
وتنسحبينَ فى آخِرِ الليل من لَحْمى..
كخنْجَرٍ متوحِّشْ...
لا أريدُ أن يُغَادِرَنى.

٣

تأتينَ من لا جِهَةْ...
أعنْى، من كُلِّ الجهاتِ تأتِينْ
وفى يديْكِ..
أزْهارٌ طَازَجَهْ
ووطنٌ مُجَفَّفْ...
وفى حقيبتِكْ،
أُنوثَةٌ مُؤَجَّلَهْ...

٤

تطلبينَ منّى، توصيةً للبحرْ
حتَّى يجعلَكِ سَمَكهْ...
وتوصيةً للعصافيرْ
حتَّى تعلِّمَكِ الحُريَّهْ...
وتوصيةً لقاضى القُضَاْةْ
حتَّى يعترفَ، بأنّك امرأهْ..
وتوصيةً للسيَّافِ مَسْرُورْ
حتى يُؤَجِّلَ موعدَ ذَبْحِكْ....

٥

أَفْتَحُ لكِ اللغةَ على مصراعَيْهَا
أَفْتَحُ لكِ تُوركْواز البَحرْ
وفَضَاءاتِ القصائد المُسْتَحيلهْ
أُعطيكِ نصْفَ سريرى..
ونِصْفَ بطَّانِيَتى..
وأُشَارِكُكِ خُبْزَ المَنْفَى
ونبيذَ الحُرِيَّةُ...

مِنْ بَدَوِيّ.. مع أطيب التمنيّات

١

انا آسفٌ جداً..
إذا عكّرتُ سهْرَتَك الجميلَةَ،
آسفٌ جداً..
إذا أظهرتُ كلَّ توحُشّي.. وخُشُونتي
هذا المساءْ..
أنا آسفٌ جداً
إذا ما كنتُ مُنْطَوياً على نَفْسي
ومُكْتئباً.. ومُنْسَحقاً..
ومكسورَ المَشَاعرِ، كالإناءْ..
أنا آسفٌ جداً..
إذا خالفتُ آدابَ السلُوكِ
فما اهتمَمْتُ برَبْطةِ العُنُقِ الوَقُورَة..
والحذاءْ..
مَنْ قالَ إنَّ قصائدَ الشعراءِ،
تنتعل الحذاءْ؟
فأنا أتيتُ من العَرَاءِ.. إلى العَرَاءْ

لا تخجلى منّى..
ومن عشقى البدائىِّ البسيطِ،
فإنَّ أكابرَ العُشَّاقِ
كانوا خارجينَ على الحَيَاءْ..

٢

أنا آسفٌ جداً..
إذا لم أنتبهْ لجمالكِ الأخَّاذِ..
هذى غَلْطَةٌ كبرى بتاريخى،
ونَقْصٌ فى الحَضَارَةِ، والسُلُوكِ،
ومن علامات الغَبَاءْ..
هل ممكنٌ أن يُهْمِلَ الإنسانُ وَجْهَاً
تلتقى فيه السماءُ مع السماءْ.
أنا آسفٌ جداً.. لفَرْط جهالتى
أنا شاعرُ الحُبِّ الذى
لا يُتْقِنُ الإعلانَ عن نَزَوَاتِه أبداً،
فإنَّ عَواطفى، ليست ثياباً فى الهَوَاءْ
أنا باطنىٌّ -ربَّما- حتى العَيَاءْ.
ومضرَّجٌ بغُمُوضِهِ حتى العَيَاءْ

قدلا أكونُ مهذَّباً، مثلَ الذينَ عرفْتِهِمْ
ومُعَلَّباً مثلَ الذينَ عرفتِهِمْ
ومُشمَّعاً.. ومُلمَّعاً..
مثلَ الذينَ عرفتِهِمْ.
لكنَّنى أُعطى دمى،
من أجل لحظة كبرياءْ...

٣

أنا آسفٌ جداً..
إذا أفْسَدْتُ ليلتَك المُثيرةَ،
آسفٌ.. إن كنتُ لوَّثْتُ الهَوَاءْ
فأنا عَدَائىٌّ.. عُصَابىٌّ..
أَنَانىٌّ.. شِتَائىٌّ..
فماذا تفعلينَ مع الشتاءْ؟؟
أنتِ الجميلةُ.. والصغيرةُ..
والمليئةُ بالطموح وبالرَجَاءْ..
فتحمَّلى فوضاىَ..
إنّى لم أكُنْ عُضْواً قديماً
فى نوادى الحاكميَن..
و لانوادى الأغنياءْ..

٤

لا تنظُرى لى هكذا..
وكأنّنى من كوكب المرِّيخ.. جئتُ
وعَصْرِا رُوَّاد الفَضَاءْ..
أنا ضائعٌ بين العصور كَمرْكَبٍ
فى البحر، تقذفه الرياحُ كما تشاءْ
أنا آخِرُ العُشَّاق فى زَمَن التلوُّثِ،
آخِرُ الكلمات، فى زَمَن التعهُّر والغَبَاءْ
والحبُّ.. آخِرُ طَلْقَةٍ فى الرأسِ.. أطلقُها
فلا تمشى على بِقَعِ الدماءْ..

٥

عَفْواً..
إذا لَخْبَطْتُ عُطْلَة آخِر الأسبوعِ
إن طبيعتى تأبى التصنُّعَ.. والرياءْ
أنا لستُ أعرفُ ما أُحبُّ..
ومَنْ أُحِبُّ..
فسامحينى إن حملتُ حقيبتى

وتركتُ معركةَ الخواتِم.. والأساورِ.. والفِرَاءْ..
أنا هكذا.. أنا هكذا..
أمشى على قَدَمين من نارٍ.. وماءْ
تتقاطعُ الأفكارُ فى رأسى..
ويختلطُ الدُخَانُ، مع النَبيذِ، مع النُحَاس، مع العَقيقِ،
مع الأمامِ، مع الوراءْ..
هل كانتِ العينانِ قبل الدَمْعِ،
أم فى الأصلِ، قد كانَ البُكَاءُ؟
هل ناهداكِ خطيئتانِ عظيمتانِ.. كما رووُا
أم ناهداك يُصحِّحَانِ جميعَ أخطاءِ السَمَاءْ؟
هل يا تُرى الأشجار تمشى وهى واقفةٌ
وهل حريّةُ الإنسان كانتْ.. قبل أن كان الفضاءْ؟
والُحبُّ. هل هو حالةٌ عقليَّةٌ؟
أم حالةٌ جسديَّةٌ؟
أم أنَّهُ شيءٌ يُركَّبُ كالدوَاءْ.

٦

هل كنتِ قبل قصائدى موجودةً
أم أننى بالشِعْرِ، أوجدتُ النساءْ؟؟

حبيبتي تقرأ أعمالَ فرويد

١

عَقَّدني حُبُّكِ، يا سيِّدتي
يا امرأةً، طباعُها أشْبَهُ بالفُصُولْ
ومرةً،
حدائقٌ مفتوحَةٌ
ومرةً،
عواصفٌ مَجْنُونَةٌ
ومرةً، سيُولْ..
فكلّما أشرقتِ الشمسُ على نوافذي
بكى على شَراشِفي أيْلُولْ.
نسيتُ تاريخي، وجُغْرافيَّتي
فلا أنا على خُطُوط العَرضْ
ولا أنا على خُطُوط الطُولْ.

٢

يا امرأةً تضجرُ من ثيابِها
ومن مرَايَاها..
ومن قهوتِها..
ومن شرايين يدى..
فهل أنا..؟
عن ضَجَر العالم، يا سيّدتى،
مسؤُولْ؟
ماذا جرى؟
ماذا جرى؟
صوتُكِ لا معْقُولْ
تَجَمُّعُ الأمطار فى عينيْكِ..
لا مَعْقُولْ..
يا امرأةً تحملُ حَتْفى بين عَيْنَيْهَا
وترمينى من المجهولِ للمجهولْ
توقَّفى.. عن المرور فى دمى، كطَلْقَةٍ
فإنّنى أعرفُ منذُ البَدْءِ،
أننّى مقتُولْ..

٣

دوَّخنى حُبُّكِ، يا سَيِّدتى
فمرةً، أدخُلُ من بَوَّابة الخُروجْ
ومرةً، أخرجُ من بوَّابة الدُخُولْ
سفينةٌ أنتِ.. بلا بُوصلَةٍ
لا يعرفُ الراكبُ فيها ساعةَ الإقلاعْ
أو ساعةَ الوصُولْ..
يا امرأةً.
تجهلُ أين عِقْدُها ؟
تجْهَلُ أين مِشْطُها ؟
تجهل أين عَقْلُها ؟
وتجهلُ الفاعِلَ والمفعولْ..

٤

يا امرأةً..
ريدُنى، بشَهْوة الأنثى، ولا تريدُنى
يا امرأةً تمارسُ الحبَّ معى
من غير أن تلمسَنى

يا امرأةً..

تحملُ منّى عَشْرَ مَرَّاتٍ..

ولا تعرفُنى..

ثم تقولُ:

إنَّها بَتُولْ!!

وتشتهينى ليلةً واحدةً

ثُمَّ يموتُ، بعدَها، الفُضُولْ.

يا امرأةً..

تصهَلُ مثلَ مُهْرَةٍ جميلةٍ

وبَعْدَها،

تَمَلُّ من صهيلها الخُيُولْ

يا امرأةً..

تقتلنى، من غير أن تقتلَنى

فليتنى أدرى من القاتلُ، يا سيِّدتى

ومَنْ هُوَ المقتولْ؟

كتابُ يَدَيْكِ

١

كتابُ يَدَيْكِ.. أميرُ الكُتُبْ
ففيهِ قصائدُ مطليَّةٌ بالذَهَبْ
وفيه نُصُوصٌ مُطعَّمةٌ بخيوط القَصَبْ.
وفيهِ مجالسُ شِعْرٍ
وفيه جداولُ خمرٍ
وفيه غناءٌ
وفيهِ طَرَبْ.
يَدَاكِ سريرٌ من الريشِ..
أغْفُو عليه،
إذا ما اعترانى التَعَبْ
يَدَاكِ..
هُمَا الشعْرُ، شكلاً وَمَعْنىً
ولولا يداكِ..
لما كانَ شعْرٌ
ولا كانَ نَثْرٌ
ولا كانَ شيءٌ يُسمَّى أدَبْ.

٢

كِتَاب يَدَيْكِ
كِتَابٌ صغيرٌ.. صغيرْ..
ولكنَّهُ صار مَوْسُوعتى
فمنهُ تعلَّمْتُ،
كيفَ النُحَاسُ الدمشقىُّ يُطْرَقُ
كيفَ تُحَاكُ خُيُوطُ الحريرْ.
ومنه تَعَلَّمتُ،
كيف الأصابعُ تكتُبُ شِعْراً
وأنَّ حُقُولاً من القطنِ
يمكنُها أن تطيرْ...

٣

كِتابُ يَدَيْكِ، كتابٌ ثَميْن
يُذكّرنى بكتاب (الأغانى)،
و(طَوْق الحَمامَهْ)،
و(مجنون إلْزَا)،
وأشعارِ لُوركَا

وبابلو نيرُودا ،
ومَنْ أشعلوا فى الكواكبِ
نارَ الحنينْ..
كتابُ يَدَيْك..
يُشَابِهُ أزهارَ أمّى
فأوَّلُ سَطْرٍ من الياسَمينْ.
وآخِرُ سَطْرٍ من الياسَمينْ.
يداك..
كتابُ التصوُّفِ، والكَشْفِ،
والرقْصِ فى حَلَقاتِ الدراويشِ
والحالمينْ..
إذا ما جلستُ لأقرأ فيهِ
أصلّى على سَيِّدِ المُرْسَلينْ...

٥

كتابُ يَدَيْكِ
يوزِّعُ خُبْزَ الثقافةِ كلَّ نهارٍ
على الجائعيْن..
ويُعطى دُروسَ المحبَّة للعاشِقينْ

ويلْمَعُ كالنجم، فى عُتْمة الضائعينْ
وكنتُ أنا ضائعاً، مثلَ غيرى
إلى أن قرأتُ كتابَ يَدَيْكِ
فأدركت نُورَ اليقيْن.

٦

حديثُ يَدَيْكِ،
خلالَ العَشَاءْ
يُغيّرُ طَعْمَ النبيذِ،
وشَكْلَ الأوانى.
أحاولُ فَهْمَ حوارِ يَدَيْكِ
ولازلتُ أبحثُ عمّا وراءَ المكانى
فإصْبَعَةٌ تستثيرُ خيالى
وأخْرَى تُزَلْزِلُ كُلَّ كيانى.
حَمَامٌ...
حَمَامٌ...
يحطُّ على كَتِفَيَّ
فمن أينَ هذا الحَمَامْ أتانى؟
(وموزارتُ) يصحُو.. ويرقُدُ

فوقَ مفاتيح هذا البيَانِ
ويغسلُنى بحليبِ النُجُومِ
وينقُلُنى من حدود المَكانِ.

٧

لماذا أُضيعُ
أمامَ يَدَيْكِ اتِّزانى؟
إذا ما لعبتِ بزَرْ قميصى
تحوّلْتُ فوراً،
إلى غَيْمَةٍ من دُخَانٍ...

١٩٨٩/٤/٢٠

ليست تقال

حاولتُ أسألُ: ما الأنوثةُ؟
ثمّ عدتُ عن السؤالْ
فأهمُّ شئٍ فى الأنوثةِ
أنّها.. ليست تُقَالْ...

محاولاتٌ لقتل امرأةٍ لا تقتل

١

وعدتُكِ أن لا أُحبَّكِ..
ثُمَّ أمامَ القرار الكبيرِ، جَبُنْتُ
وعدتُكِ أن لا أعودَ...
وعُدْتُ...
وأن لا أموتَ اشتياقاً
ومُت
وعدتُ مراراً.
وقرّرتُ أن أستقيلَ مراراً
ولا أتذكّرُ أنى اسْتَقَلتْ...

٢

وعدتُ بأشياءً أكبر منّى..
فماذا غدا ستقولُ الجرائدُ عنّى؟
أكيدٌ.. ستكتُبُ أنّى جُنِنْتْ..
أكيدٌ.. ستكتُبُ أنّى انتحرتْ
وعدتُكِ..

أن لا أكونَ ضعيفاً... وكُنتْ..
وأن لا أقول بعينيكِ شعراً..
وقُلتْ..
وعدتُ بأنْ لا...
وأنْ لا..
وأنْ لا...
وحين اكتشفتُ غبائی.. ضحِكْتْ...
وَعَدْتُكِ..
أن لا أبالی بشَعْرِكِ حين يمرُّ أمامی
وحين تدفَّقَ كالليل فوق الرصيفِ..
صرَخْتْ..
وعدتُكِ..
أن أتجاهَلَ عَيْنَيكِ، مهما دعانی الحنينْ
وحين رأيتُهُما تُمطرانِ نجوماً...
شهَقْتْ...
وعدتُكِ..
أنْ لا أوجِّهَ أیَّ رسالة حبٍ إليكِ..
ولكننی -رغْمَ أنفی- كتبتْ
وَعَدْتُكِ..

أن لا أكونَ بأيِّ مكانٍ تكونينَ فيه..
وحين عرفتُ بأنك مدعوةٌ للعشاءِ..
ذهبتْ..
وعدتُك أن لا أحِبَّك..
كيفَ؟
وأينَ؟
وفى أيِّ يومٍ تُرانى وَعَدْتْ؟
لقد كنتُ أكْذِبُ من شدَّة الصِدْقِ،
والحمدُ لله أنى كَذَبْتْ...

٤

وَعَدْتُ..
بكل بُرُودٍ.. وكُلِّ غَبَاءٍ
بإحراق كُلّ الجسور ورائى
وقرّرتُ بالسِّرِ، قَتْلَ جميع النساءِ
وأعلنتُ حربى عليكِ
وحيَن رفعتُ السلاحَ عليكِ
انْهَزَمتْ..
وحين رأيتُ يَدَيْكِ المُسَالمتين..

اختجلتْ..

وَعَدْتُ بأنْ لا.. وأنْ لا.. وأنْ لا..

وكانت جميعُ وعودى

دُخَاناً، وبعثرتُهُ فى الهواءِ.

٥

وَعَدْتُك..

أن لا أتَلْفِنَ ليلاً إليكِ

وأنْ لا أفكّرَ فيكِ، إذا تمرضينْ

وأنْ لا أخافَ عليكْ

وأن لا أقدِّمَ ورداً...

وأن لا أبُوسَ يَدَيكْ..

وتَلْفَنْتُ ليلاً.. على الرغم منّى..

وأرسلتُ ورداً.. على الرغم منّى..

وبِسْتُك من بين عينيْكِ، حتى شبعتْ

وعدتُ بأنْ لا.. وأنْ لا.. وأنْ لا...

وحين اكتشفتُ غبائى ضحكتْ...

٦

وَعَدْتُ...

بذبحكِ خمسيَن مَرَّةْ..

وحين رأيتُ الدماءَ تُغطّى ثيابى

تأكّدتُ أنّى الذى قد ذُبِحْتْ..

فلا تأخذينى على مَحْمَل الجَدِّ..

مهما غضبتُ.. ومهما انْفَعَلْتْ..

ومهما اشْتَعَلتُ.. ومهما انْطفأتْ..

لقد كنتُ أكذبُ من شدّة الصِدْقِ

والحمدُ لله أنّى كَذَبتْ...

٧

وعدتُكِ.. أن أحسِمَ الأمرَ فَوْراً..

وحين رأيتُ الدموعَ تُهَرْهِرُ من مقلتيكِ..

ارتبكْتْ..

وحين رأيتُ الحقائبَ فى الأرضِ،

أدركتُ أنَّكِ لا تُقْتَلِينَ بهذى السُهُولَهْ

فأنتِ البلادُ.. وأنتِ القبيلَهْ..

وأنتِ القصيدةُ قبل التكوُّنِ،
أنتِ الدفاترُ.. أنتِ المشاويرُ.. أنتِ الطفولَهْ..
وأنتِ نشيدُ الأناشيدِ..
أنتِ المزاميرُ..
أنتِ المُضيئةُ..

٨

وَعَدْتُ..
بإلغاء عينيْكِ من دفتر الذكرياتِ
ولم أكُ أعلمُ أنّ سألغى حياتى
ولم أكُ أعلمُ أنكِ..
- رغْمَ الخلافِ الصغيرِ- أنا..
وأنّيَ أنتْ..
وَعَدْتُكِ أن لا أحبّكِ...
- يا للحماقةِ-
ماذا بنفسى فعلتْ؟
لقد كنتُ أكذبُ من شدّة الصدقِ،
والحمدُ لله أنّى كَذَبتْ...

٩

وَعَدْتُك..
أنْ لا أكونَ هنا بعد خمس دقائقْ..
ولكنْ.. إلى أين أذهبُ؟
إنَّ الشوارع مغسولةٌ بالمَطَرْ..
إلى أينَ أدخُلُ؟
إن مقاهى المدينة مسكونةٌ بالضَجَرْ..
إلى أينَ أبْحِرُ وحدى؟
وأنتِ البحارُ..
وأنتِ القلوعُ..
وأنتِ السَفَرْ..
فهل ممكنٌ..
أن أظلَّ لعشر دقائقَ أخرىَ
لحين انقطاع المَطرْ؟
أكيدَ بأنّى سأرحلُ بعد رحيل الغُيُومِ
وبعد هدوء الرياحْ..
وإلاّ..
سأنزلُ ضيفاً عليكِ
إلى أن يجئَ الصباحْ...

١٠

وعدتُك..
أن لا أحبَّك، مثلَ المجانين، في المرَّة الثانيَهْ
وأن لا أهاجمَ مثلَ العصافيرِ..
أشجارَ تُفَاحكِ العاليَهْ..
وأن لا أُمَشّطَ شَعْرَك -حين تنامينَ-
يا قطّتي الغاليَهْ..
وعدتُك، أن لا أُضيعَ بقيّةَ عقلي
إذا ما سقطتِ على جسدي نَجْمةً حافيَهْ
وعدتُ بكَبْح جماح جُنوني
ويُسْعدني أنني لا أزالُ
شديدَ التطرُّف حين أُحِبُّ...
تماماً، كما كنتُ في المرّة الماضيَهْ..

١١

وَعَدْتُكِ..
أن لا أُطَارحَكِ الحُبَّ، طيلةَ عامْ
وأنْ لا أخبئَ وجهي..

بغابات شَعْرِك طيلةَ عامْ..
وأن لا أصيد المحارَ بشُطآن عينيكِ طيلةَ عامْ..
فكيف أقولُ كلاماً سخيفاً كهذا الكلامْ؟
وعيناكِ داري.. ودارُ الوئام.
وكيف سمحتُ لنفسي بجرح شعور الرخامْ؟
وبيني وبينكِ..
خبزٌ.. وملحٌ..
وسَكْبُ نبيذٍ.. وشَدْوُ حَمَامْ..
وأنتِ البدايةُ في كلّ شيءٍ..

١٢

وعدتُكِ..
وأنْ لا أعودَ.. وعُدْتْ..
وأنْ لا أموتَ اشتياقاً..
ومُتْ..
وعدتُ بأشياءَ أكبرَ منّي
فماذا بنفسي فعلتْ؟
لقد كنتُ أكذبُ من شدّة الصدق،
والحمدُ للهِ أنّي كذبتْ....

ثلاث مفاجآتٍ لامرأة رومانسية..

سَتُفاجأ -سيِّدتى- لو تعلمُ
أنى أجهلُ ما تعريفُ الحبّ!!.
وستحزن جداً.. حين ستعلمْ
أن الشاعر ليس بعلاَّمٍ للغيبْ..
أنا آخرُ رجلٍ فى الدنيا
يتنبَّأ عن أحوال القلبْ

سيّدتى:

إنى حين أحبُّكِ..
لا أحتاجُ إلى (أل) التعريفْ
سأكونُ غبياً لو حاولتُ،
وهل شمسٌ تدخُلُ فى ثقبْ
لو عندكِ تعريفٌ للشعْرِ..
فعندى تعريفُ للحُبّ..
ستُفَاجأ سيّدتى لو تعلمُ
أنّى أميٌّ جداً فى علم التفسيرْ
إنْ كنتُ نجحتُ كتابياً فى عَمَل الحُبّ
فما نَفْعُ التنظيرْ؟؟

أيصدِّقُ أحدٌ أن مليكَ العِشْقِ، وصيَّادَ الكلماتْ
والديكَ الأقوى فى كلَ الحَلَباتْ
لا يعرفُ أينَ.. وكيفَ..
تبلّلنا أمطارُ الوجدْ
ولماذا هندٌ تُدخِلُنا فى زمن الشِعرِ..
ولا تُدْخِلُنا دعدْ..
أيصدّقُ أحدٌ فقيه الحبِّ، ومرجعَهُ
لا يُحْسِنُ تفسيرَ الأبياتْ
ستُفاجأُ سيّدتى لو تعلمُ،
أنى لا أهتمُّ بتحصيل الدرَجَاتْ
وبأنيلا رجلٌ لا يُرْعِبُهُ تكرارُ السَنَواتْ
وتُفاجأُ أكثرَ..
حين ستعلمُ أنى رغْمَ الشيبِ.. ورغْمَ الخبرةِ..
لم أتخرَّجْ من جامعة الحُبُّ..
إنى تلميذٌ سيّدتى..
إنى تلميذك سيدتى..
وسأبقى طالبَ علمْ
وسأبقى دوماً عصفواً..
يتعلَّمُ فى مدرسة الحُلْمْ...

الجديـد

... وأجهلُ حين أكونُ بحضرة عينيْكِ
ماذا أُريدُ.. وما لا أُريدْ..
ولم يكُن الحبُ شيئاً جديداً عليَّ..
ولكنَّ حبَّكِ كان الجديدْ...

٥ دقائـق

إجلسى خَمْسَ دقائقْ
لا يريدُ الشعْرُ كى يسقطَ كالدرويشِ
فى الغيبوبة الكبرى
سوى خَمْسِ دقائقْ..
لا يريدُ الشعرُ كى يثقبَ لحمَ الورقِ العارى
سوى خَمْسِ دقائقْ..
فاعشقينى لدقائقْ..
واخْتَفِى عن ناظرى بعد دقائقْ
لستُ أحتاجُ إلى أكثرَ من عُلْبَة كبريتٍ
لإِشعالِ ملايين الحرائقْ

إن أقوى قصصِ الحبّ التى أعرفُها
لم تدُمْ أكثرَ من خمس دقائقْ...

الديـــك

سَبَقَ السيفُ العَزَلْ
سَبَقَ السيفُ العَزَلْ
غرقَ المركبُ فى الليل بِنَا
قبل أن نبدأ فى شهر العَسَلْ
واستقال الديكُ من منصبهِ
تاركاً من خلفهِ،
عشرينَ ديوانَ غَزَلْ
واستقالَ الليلُ من عبء الهوى
واستقال الثغرُ من نار القُبَلْ
فلماذا أنتِ فى المسرح يا سيّدتى
بعد أن ماتَ البَطَلْ؟؟

نرجسيّــة

إمرأةٌ مُطْفَأةُ الذكاءْ
غبيّةٌ فى قمّة الغَبَاءْ
هل ممكنٌ أن تبلُغى خمْساً وعشرينَ سَنَهْ؟
ولا تزالين تعيشين على هوامش التاريخ والأشياءْ
هل ممكنٌ..
أيّتها الساذجَةُ، السطحيّةُ، الحمقاءْ.
هل ممكنٌ أن تجهلى..
أنّى الذى أسَّسَ جمهوريةَ النساءْ؟؟

بروتوكــول

بوُسْعِكِ أن تجلسى حيثُ شئتِ..
ولكنْ..
حَذَارِ بأن تجلسى فى مكان القصيدَهْ
صحيحٌ بأنّى أحبُّك جداً..
ولكننى فى سرير الهوى
سأنسى تفاصيلَ جسمكِ أنتِ..
وأختارُ جسْمَ القصيدَهْ..

التــراجيديــا

يُسمُّونني في بلادي (مليكَ النساءْ).
وما عرفوا أنّ قصري زجاجٌ
وعَرْشي هواءْ
يقولونَ إنّي بخيرٍ..
وما شاهدوني
أخوّضُ في بِركةٍ من دماءْ
يقولونَ إني الفاتحُ الأعظمُ
وأن حريميَ لا تغربُ الشمسُ عنهُ
وممتلكاتي العيونُ الكبيرةُ، والأنجُمُ
فأيَّ مليكٍ تعيسٍ أنا؟
إذا كنتُ أملكُ جيشَ نساءٍ
ولا أحكُمُ!!!

الرجل المعدني

شَفَتاكَ من حَجَرٍ.. وصوتُك من حَجَرْ
ويداكَ آنيتانِ من عصر الحَجَرْ..
وأنا على طرف السرير.. كنَخْلةٍ
من ألف قرنٍ.. وهي تنتظر المَطَرْ
إنْهَضْ.. فإنَّكَ حالة ميئوسةٌ
إنْهَضْ.. فلا عِلْمٌ لديكَ ولا خَبَرْ..
أنْسَيْتني شكلي.. وشكْلَ أنوثتي
وكسرتَ أغصاني. وأتْلَفْتَ الزهَرْ
أنّي أعضُّ على بياضِ شَراشِفي
وأعضُّ من قهري شبابيكَ القَمَرْ
يا أيُّها البدويُّ.. إحسبْني هلالاً أو قَمَرْ
إعْزِفْ على خصري..
أما شاهدتَ قبل الآن.. ناياً أو وَتَرْ؟
يا داخلًا سوقَ النساءِ بناقةٍ..
ودجاجتَيْنِ..
أليسَ هذا من أعاجيبِ القَدَرْ؟

إنّى بقمَّةِ فتْنتى وتفجّرى
وأراكَ. لا علمٌ لديكَ ولا خَبَرْ
يا أيُّها المتخلّفُ العقلىُّ.. قد أخْجلْتَنى
فالناسُ قد دخلوا إلى عصر الفضاء
وأنتَ -وا آسفى عليكَ-
بقيتَ فى عصر الحجرْ

٨٦/٤/٢٦

أشهرك في وجه البشاعة.. دفتر شِعْر

١

أرمي جوازَ سفري في البحرْ..
وأسمّيكِ وطني..
أرمي جميعَ معاجمي في النارْ
وأسمّيكِ لُغَتي..
وأغتالُ جميعَ ملوكِ الطوائفْ
وأُسمّيكِ مليكتي.

٢

أشهرُكِ في وجه تَمُّوزَ
وعداً بالمطَرْ
وفي وجه العَصَافيرِ..
وعداً بالشَجَرْ
وفي وجه النوارس..
وعداً باللون الأزرقْ
وأرافقُ الأطفالَ في رحلةٍ مدرسيةٍ
ليلعبوا بكُرات الثلج.

ويصطادوا البطَّ المائىْ
ويُشاهدوا -على الطبيعة-
كُرَوِيّةَ الأرضْ...

٣

أُشْهِرُكِ فى وجه الصحراءِ
نَخْلَهْ...
وفى وجه الجفاف، سُنْبُلَةَ قمحْ
وفى وجه الظلام،
شمعداناً من الذَهَبْ

٥

أُعلنُ أمام أكَلَه لحوم النساءْ
أنَّكِ حبيبتى
فيرمونَ أضراسهُمْ فى البحرْ
ويقلعونَ أظافرهُمْ
ويغسلون الدمَ عن ثيابهمْ
ويدخلون عصر النهضةْ...

١٩٨٥

درسٌ فى اللغة لتلميذة مبتدئة

خُذى كلَّ شئٍ تريدينه..
واتركى لى لغتى..
فأنا بحاجةٍ حين تكونينَ معى
إلى لغةٍ جديدةٍ أُحبُّك بها..
وأُمشِّطُ شعرَك بها..
وأغسلُ أقدامَكِ بها..
وأُغطِّيكِ بحنان حروفِها،
عندما تنامين

٢

إننى أعرفُ أنّكِ من أقدم اللُّغاتْ
ومن أخْصَب اللَغاتْ
ومن أصعب اللُّغاتْ
ولكننى بحاجةٍ حين تكونينَ معى
أن أصنعَ معجزةً صغيرَهْ
أتحدَّى بها عينيك الرافِضَيْنِ لكلِّ شئْ..
والقادريْن على كلِّ شئْ

بحاجةٍ إلى لغةٍ ثانيَهْ..
أتفوَّق فيها على جسدك الخرافىْ..
وأرفعُ فيها بيارقى
على أبراجك التى لا تغيب عنها الشمسْ...

٣

بلا لُغَتى..
أنتِ امرأةٌ مثل باقى النساءْ
وبها، أنتِ كلُّ النساءْ
بلا لُغَتى..
أنتِ إشاعةُ امرأهْ..
قُصاصةُ امرأهْ..
مشروعُ امرأهْ..
رَسْمٌ تجريدىٌ لم يستوعبه أحَدْ..
ومخطوطةٌ شعْرِيّة
كُتِبتْ بحبرٍ سرىّ
ولم ينتبه إليها الناشرونْ...

٥

بلا لُغتي..
أنتِ فراشةٌ من حَجَرْ لا تحطُّ.. ولا تطيرْ
وبيدرٌ لا تهاجمه العصافيرْ
وجزيرةٌ لا تقصدُها المراكبْ

٦

بلا لُغَتي..
لن تجدي مرآةً تتمرّينَ بها..
ولن تجدي مكحلةً تتكحَّلين بها..
ولن تجدي حَلَقاً تضعينَه في أُذُنَيْكِ..
أصفى من دموعي. فكلماتي هي مراياكِ
ومفرداتي هي أدواتُ زينتكِ
فخذي كلَّ شيءٍ تريدينهْ.. واتركي لي لغتي..
فهي صولجانُ مجدكْ
وإكليلُ الغار على جبينكْ
وهي العصفورُ الجميل الذي سيحملك على جناحيهْ
ويطير بك حول الكرة الأرضيَّةْ.

٧

بلا لغتى..
أنتِ كتابٌ لا يزالُ تحت الطبْع
وقبلةٌ مؤجَّلةُ التنفيذْ
وصلصالٌ لم يتشكَّلْ بعدْ..
ووردةٌ لم تكتشف عطرها بعدْ..
وقلب.. لم يعرف ما اسْمُه بعدْ..
فهو ينتظرنى حتى أسمّيهْ..

٨

خُذى كلَّ شئ تريدينَهْ واتركى لى لغتى..
فهى الورقةُ الوحيدةُ التى بقيتْ فى يدى..
والحصانُ الأخيرُ الذى أقامرُ عليهْ..
لقد ربحتِ حتى الآن عَشَراتِ الجولاتْ..
وهزمتنى عشرات المرّاتْ..
فى معركة الحبّ.. فاسمحى لى أن أنتصر عليكِ
ولو لمرةٍ واحدةْ.. فى معركة الكلماتْ..

١٩٨٤

من ملفات محاكم التفتيش

١

يطالبُنى حكماءُ القبيلَهْ
أن أتركَ أشعارة على باب خَيْمتِكْ
وأدخلَ عليكِ، مجرّداً من السلاحْ
ماذا يبقَى منى؟
إذا نزلتُ عن فَرَس العشقْ
ورهنتُ راياتى وأوسمتى
ومعطفَ الكلمات الجميلَهْ
الذى كنتُ أختالُ به
كفهدٍ إفريقيٍ مرقّطْ..

٢

يطالبنى عقلاءُ القبيلَهْ
حتى لا تشتعلَ الفتنَهْ
وحتى لا يتقاتلَ الرجالُ مع الرجالْ
من أجل حَفْنةِ كُحْلْ..
وحتى لا يسيلَ دمُ التاريخ من أجل غزالَهْ

أن أفكّ ارتباطى بعينيكِ السوداوينْ
وأحتكمَ إلى العقلْ..
ماذا يبقى من وطن الكحلْ؟
الذى أعطانى جنسيّتى، وجوازَ سفرى
إذا قبلتُ التحكيمْ
وخرجتُ من عينيْكِ السوداوينْ
تلبيةً لمقتضيات الأمن البدويُّ...

٣

يطالُبنى فقهاءُ القبيلَهْ
باسم الوصايا العشْرِ التى لم أقرأها
وباسم دولة الذكور التى لا أعترف بها
وباسم المؤلفات التى ألّفها الجرادُ الصحراوىْ
وباسم شجرة العائلة
التى كسرتُها.. وتدفأتُ على حطبها
أن أترك عشقى لك فى عمده
وأتخلّى عن أجمل سيفٍ من الذَهَبْ
إقنيتُهُ فى حياتى...

٤

يحاكمني على حبّي لك
قضاةٌ.. لم يقرأو نصا واحدا من نصوص العشقْ
ولم يسمعوا بـ (طَوْق الحمامه) لا من حَزْمْ.
وبـ (فنّ الحب) لأوفيد
ويطالبُ برأسي..
مثقفونَ يمارسون الحبَّ مع المقاهي

٥

ينصحني شعراءُ القبيلَهْ
الذين رفضت الأميرةُ قصائدَهُمْ
وأمرت بشنقهم واحداً.. واحداً.. على شُرْفَتها
لأنهم لم يفهموا لُعْبَةَ الأنوثَهْ
ولا لُعْبَةَ الشعرْ..
وتلعثموا حين سألَتْهُمْ:
عن الفرق بين إيقاعات البحر الطويلْ
وإيقاعات شعرها الطويلْ
وعن الفرق بين خصائص شفتْيها

وخصائص النبيذ الفرنسىْ
وعن الفرق بين النقطة فى آخر السَطرْ
والشَامَة فى أعلى الظهرْ...

٦

ينصحنى مرتزقةُ البَلاطْ
أن أعودَ من حيثُ أتيتْ
لأن الأميرةَ لا تَفتحُ نافذتَها
إلا لعصفورٍ يرزقزق جيداً..
وأننى لو فشلتْ..
دفنتْنى فى عتمة ضفائرِها..

٧

أضعُ دمى على كفّى
وأرشُّ شراشفَ الأميرة بأشعارى

٨

يجتمع حكماءُ القبيلة ومستشاروها فى جلسةِ طارئَةْ
ويدرسونَ ورقةَ ورقهْ..

وأعمالى قصيدةً.. قصيدهْ..
ويستعرضون حبيباتى إمرأةً.. إمرأهْ..
يأخذونَ بَصَمات يدى.. وبَصَمات فمى..
ويستمعون إلى إفادات شعراء من الدرجة العاشرَهْ
جاؤوا من كلِّ المدن العربية ليشهدوا ضدّى...

٩

يقرِّرون بالإجماع: أننى فضيحةٌ مقروءهْ
وأننى خطرُ على الأمن النسائىّ.
يطلبون منى أن أغادر الوَطَنْ
خلال ثمان وأربعين ساعهْ
فأغادره..
ونتبعنى إلى المنفى كلُّ نساء القبيلَهْ...

حوارٌ مع يدين أرستقراطتين

١

على الرغم من نزعتى الراديكاليَّةْ
وتعاطفى مع جميع الثورات الثقافية فى العالمْ فإننى مضطرٌ أن أرفع قبّعتى
ليديكِ البورجوازيتيْنْ..
المصنوعتين من الذَهب الخالصْ
مُضْطَرٌ أن أعترف بنعومتها القصوى
وأنوثتهما القصوى.
وسلطتِهما المطلقة على الماء والنَبَاتْ
والعجَز والبَشَرْ...
ومضطرٌ أن أعترف بفضلهما
على حضارة الإغريقْ وحضارة الفراعنَةْ
وحضارة ما بين النَهْرَيْنْ.
ومضطرٌ أن أعترفْ
بذكائهما حين تتكلّمانْ
وبعمقهما حين تصمتانْ وبحضارتهما...
حين تُمْسِكَان إبريقَ الفضَّةْ
وتسكبان الشايَ فى فنجانى...

٢

يداكِ أرستقراطيتانِ.. بالوراثَهْ
كما الزُرَافَةُ ممشوقةٌ بالوراثَهْ
وكما البلبلُ موسيقيٌّ بالوراثَهْ
وكما الكلمةُ متمرِّدةٌ.. بالوراثَهْ
وأنا...
لستُ ضدَّ يديْكِ.. المرفّهتيْن.. المدلّلتيْنْ..
ولا أفكّرُ -حين أكونُ معهما-
بأيِّ مشاعرَ طبقيَّهْ...

حبٌّ.. تحت الصفرْ

هو البحرُ.. يفصل بينى وبينك..
والموجُ، والريحُ، والزمهريرُ.
هو الشعْرُ.. يفصل بينى وبينَك.
فانتبهى للسقوط الكبيرْ..
هو القهْرُ..يفصل بينى وبينك..
فالحبُّ يرفُضُ هذى العلاقة
بين المرابى.. وبين الأجيرْ..
أحبُّك..
هذا احتمالٌ ضعيفٌ.. ضعيفْ
فكلُّ الكلام به مثلُ هذا الكلام السخيفْ
أحبُّك.. كنتُ أحبُّك.. ثم كرهتُك..
ثم عبدتُك.. ثم لعبتُك..
ثم كتبتُك.. ثم محوتُك..
ثم لصقتُك.. ثم كسرتُك..
ثم صنعتُك.. ثم هدمتُك..
ثم اعتبرتَك شمسَ الشموس.. وغيّرتُ رأيى..
فلا تعجبى لاختلاف فصولى
فكل الحدائق، فيها الربيعُ، وفيها الخريفْ..

٢

هو الثلجُ يفصل بينى وبينك..
ماذا سنفعلُ؟
إنَّ الشتاءَ طويلٌ طويلْ
هو الشكُّ يقطعُ كلَّ الجُسُورِ
ويُقْفِلُ كلَّ الدروب،
ويُغْرِقُ كلَّ النخيلْ
أحبّكِ!.
يا ليتنى أستطيعُ استعادةَ
هذا الكلام الجميلْ.
أُحبُّكِ..
أين تُرى تذهبُ الكَلِماتْ؟
وكيف تجُّف المشاعرُ والقُبُلاتْ
فما كان يمكنُنى قبل عامَيْن
أصبح ضرباً من المستحيلْ
وما كنتُ أكتبُهُ -تحت وهج الحرائقِ-
أصبحَ ضرباً من المستحيلْ..

٣

هو الطَقْسُ يفصلُ بينى وبينكِ..
إن الضبابَ كثيفُ
وأنت أمامى.. ولستِ أمامى
ففى أى زاويةٍ يا تُرى تجلسينَّ؟
أحاولُ لَمْسك من دون جدوى
فلا شفتاكِ يقينٌ.. ولا شفتایَ یقینْ
يداكِ جليديّتانِ.. زجاجيّتان.. محنّطتانِ..
وأوراقُ أيلول تسقُط ذاتَ الشمال وذاتَ اليمينْ
ووجهكِ يسقُط فى البحر شيئاً فشيئاً
كنصف هلالٍ حزينْ..

٤

تموتُ القصيدةُ من شدَّة البَرْدِ..
من قلّة الحُبِّ..
من قلّة الفحم والزيْتِ..
تيبَسُ فى القلب كلُّ زهور الحنينْ
فكيف سأقرأ شعرى عليك؟

وأنتِ تناميَن تحت غطاءٍ من الثلجِ..
لا تقرأينَ.. ولا تسمعينْ.
وكيف سأتلوا صلاتى؟
إذا كنت بالشعر لا تؤمنينْ.
وكيف أقدّمُ للكلمات اعتذارى؟
وكيف أُدافعُ عن زمن الياسمينْ؟

أنا والنساء

١

أريدُ الذهابَ..
إلى زَمَنٍ سابقٍ لمجئ النساءْ..
إلى زمنٍ سابقٍ لقُدُوم البكاءْ
فلا فيهِ ألمحُ وجهَ امرأةْ..
ولا فيهٍ أسمعُ صوتَ امرأةْ..
ولا فيهِ أشنقُ نفسى بشدى امرأةْ..
ولا فيهِ ألعقُ كالهرِّ رُكْبَةَ أىّ امرأةْ...

٢

أريدُ الخروجَ من البئر حيَّاً..
لكى لا أموت بضَرْبَة قلب..
وأهْرَسَ تحت الكُعُوب الرفيعة..
تحت العيون الكَبيرةِ،
تحت الشفاه الغليظَة،
تحتَ رنين الحلَى، وجُلُود الفِراءْ.
أريدُ الخروجَ من الثقب
كى أتنفَّس بعضَ الهواءْ..

٣

أريدُ الخروجَ من القنِّ..
حيثُ الدَجَاجَاتُ...
ليس يفرّقْنَ بين الصباحِ وبين المَسَاءْ
أريدُ الخروجَ من القنِّ..
إنَّ الدَجَاجاتِ مزقن ثوبى
وحلَّلنَ لحمى..
وسَمَّيْنَنى شاعرَ الشُعَراءْ....

٤

كرهتُ الإقامةَ فى جَوْف هذى الزُجَاجَةْ..
كرهتُ الإقَامَةْ.
أيمكنُ أن أتولّى
حِرَاسَةَ نَهْدَيْن..
حتى تقومَ القيامَةْ؟؟
أيمكنُ أن يصبح الجِنْسُ سِجْناً
أعيشُ به ألفَ عامٍ وعامْ
أريدُ الذهابَ..

إلى حيثِ يمكنني أن أنامْ...
فإني مللتُ النبيذَ القديمَ..
الفِرَاشَ القديمَ..
البيانو القديمَ..
الحوارَ القديمَ..
وأشعارَ رامبو..
ولَوْحَات دالي..
وأعيَن (إلْزَا)
وعُقْدةَ كافْكا..
وما قالَ مجنونُ لَيْلَى
لشرح الغرامْ...
متى كانَ هذا المُخَبَّلُ مجنونُ ليلى..
خبيراً بفنِّ الغرامْ؟
أريدُ الذهابَ إلى زمن البحرِ..
كي أتخلَّصَ من كل هذي الكوابيسِ،
من كلِّ هذا الفِصَامْ
فهل ممكنٌ؟
- بعد خمسيَن عاماً من الحُبِّ -
أن أستعيدَ السلامْ؟؟

٥

أريدُ الذهابَ.. لما قَبْلَ عصر الضفائرْ
وما قَبْلَ عصر عُيُون المَهَا..
وما قَبْلَ عصر رنين الأساورْ
وما قَبْلَ هندٍ..
ودَعْدٍ..
ولُبْنَى..
وما قَبْلَ هزِّ القُدُودِ،
وشَدِّ النهودِ..
ورَبْط الزنانير حول الخواصرْ..
أريدُ الرحيلَ بأىِّ قطارٍ مُسَافرْ
فإنَّ حُرُوبَ النساءْ
بدائيّةٌ كحروب العشائرْ
فقَبْلَ المعاركِ بالسيفِ،
كانتْ هناكَ الأظافرْ!!.

٦

كرهتُ كتابةَ شعري على جسد الغانياتْ
كرهتُ التَسَلُّقَ كلَّ صباحٍ، وكلَّ مساءٍ
إلى قمة الحَلَماتْ..
أُريدُ انتشالَ القصيدة من تحت أحذية العابراتْ
أريدُ الدخولَ إلى لغةٍ لا تجيد اللغاتْ
أريدُ عناقاً بلا مُفْرَداتْ
وجنْساً بلا مُفْرَداتْ
وموتاً بلا مُفْرَداتْ
أريدُ استعادةَ وجهي البريءِ كوجه الصلاةْ
أريدُ الرجوعَ إلى صدر أمّي
أريدُ الحياةْ...

فرنسا ١٩٨٦

خمسة نصوص عن الحبّ

١

حُبُّكِ.. حَدَثٌ تاريخيٌّ من أحداث الكونِ،
وعُرْسٌ للأزهارِ وللأعشابْ.
وحْيٌ ينزِلُ.. أو لا ينزِلُ..
طِفْلٌ يُولَدُ.. أو لا يُولَدُ..
بَرْقٌ يَلْمَعُ.. أو لا يَلْمَعُ..
قَمَرٌ يطلعُ أولا يطلعُ..
من بين الأهدابْ.

٢

حُبُّكِ..
نصٌّ مِسْمَاريٌّ،
آشوريٌّ، فِينيقيٌّ،
سرْيَانيٌّ، فِرْعونيٌّ،
هِنْدُوكيٌّ،
نَصٌّ لم يُكْتَبْ فى أيِّ كِتَابْ.

٣

حُبُّكِ.. وقْتٌ بين السِّلْمِ، وبين الحَرْبِ
وليسَ هنالكَ حَرْبٌ.. أسْوَأُ من حَرْبِ الأعصابْ.

٤

حُبُّكِ.. سردابٌ سِحْرِىٌّ
فيه ملايينُ الأبوابْ.
فإذا ما أفْتَحُ باباً.. يُغْلَقُ بابْ..
وإذا قبَّلتُ شفاهَكِ،
يهطُلُ من شفتىَّ الشَهْدُ،
ويجرى السُكَّرُ والعُنَّابْ.
وإذا غَازَلتُكِ يوماً، يا سَيِّدتى.. يقتُلُنى الأعْرَابْ...

٥

حبك.. يطرح ألف سؤال
ليس لها فى الشعر.. جواب.

٨٩/٤/٢٨

نزار.. والقصيدة العربية قديما وحديثا

مما لا شك فيه أن.. نزار قباني.. يعد قامة كبرى فى شعرنا العربي الحديث. حتى أنه يحلو للبعض من النقاد أن يطلقوا عليه لقب أمير الشعر العربي الحديث. ونزار من الشعراء الذين أثروا حياتنا الثقافية بأشعارهم وجل قصائده كانت عن المرأة حتى أن البعض أطلقوا عليه شاعر المرأة وهذا لا يعني أنه جرف كل قصائده للحب والمرأة والعاشقين بل إنه غزا بقلمه حقول السياسة فلم تمر أزمة بالأمة العربية إلا ونجده بشعره حاضرا يعرب عن وجهة نظره فى الأحداث.

حتى شعره عن المرأة يعده نزار شعرا للوطن وفى الوطن ويقول

كلما غنيت باسم امرأة

قالوا لما لا تغني للوطن

آه لو يعلم من يكرهني

أني حين أغني لامرأة

فإني أغني للوطن

وعن رأيه فى قضية الشعر العربي يقول نزار فى كتابه الشعر قنديل أخضر.

(أتساءل وملف قضية الشعر العربي بين يدي، هل يحق لي أن أمد أصابعي الى هذا الهرم المنحوت من حجارة الأعين ومن ورق الورد ورفيف الأحلام.

فأنا. كشاعر، جزء من القضية التى كلفت النظر فيها. فكيف ألبس ثوب القاضي وثوب المتهم فى آن واحد؟ كيف أفصل فى معركة أنا بعض وهجها

ودخانها؟

هل أستطيع أن أكون موضوعيا إزاء موضوع اشتبك بلحمي وأنسجتي كما تشتبك خيوط كرة الصوف بين يدي قطة لاهية.

إن الموضوعية المطلقة فى الأدب شئ مستحيل. ولا يمكنني أن أتصور الناقد أنبوبا فى مختبر، أو عدسة فى مجهر لا تنفعل بها ينطبع عليها من خطوط وظلال. لا بدلنا أن نحجب أو أن نكرؤه. أن تقبل هذه اللوحة أو أن نرفضها، أن نبارك هذه القصيدة أو نلعنها. أما الوقوف فى منتصف الطريق. كأجزاء سيارة مفككة، مختبئين وراء قناع موضوعاتنا فهو إلغاء لإنسانيتنا وحرية اختيارنا، وهبوط بنا إلى مستوى الحجارة والطحالب وأنا فى هذا البحث عن الشعر أرفض أن أصبح حجرا أو طحلبا. أرفض أن أكون أنبوبا فى مختبر لا يتذوق نكهة القصائد ولا يشم رائحتها. أرفض أن أبقى فى (المنطقة الحرام) التى لا تعرف، أن تحب ولا تعرف أن تكره.

موضوعي هو معركة اليمين واليسار فى الشعر العربي واحتكاك اليمين باليسار أمر حتمى فى كل مجتمع صحيح البنية ومعا فى المجتمع المريض وحده هو الذي لا تشتبك كرياته الحمراء والبيضاء فى صراع شريف من أجل الحقيقة.

ما هو اليمين فى شعرنا المعاصر ومن هم اليمينيون؟

ويواصل نزار تعريف اليمين واليسار فى الشعر العربي من منظوره الخاص فيقول:

(اليمين هو الجانب الوقور الهادئ الذي يؤمن بقداسة القديم ويقيم له الطقوس ويحرق له البخور. إنه الجانب الذي ارتبط ذهنيا ونفسيا وراثيا بنماذج من القول والتعبير يعتبرها نهائيا وصالحة لكل زمان ومكان ويرفض أي تعديل لها أومساس بها.

واليمنيون من شعرائنا هم تلك الفئة التى لا تزال ترى فى (المعلقة)- المعلق هى عيون الشعر الجاهلي حيث كانت المعلقات وهى قصائد لفطاحل شعراء العرب قديما وكانت تعلق على أستار الكعبة أو على الخيام نظرا لقيمتها ولذلك سميت معلقة- وفى (القصيدة العصماء) ذروة الكمال الأدبي وغاية الغايات.

والقصيدة لديهم هى ذلك الوعاء التاريخي الذي يتسع لكل المقامات ولكل الهامات. وهى لديهم قدر محتوم لا نملك له دفعا ولا ردا.

فى مواجهة القديم المتعصب لحولياته وألفياته، يقف جيل اليسار بكل طفولته ونزقه وجنونه. إنه جيل مفتوح الرئتين للهواء النظيف. مبهور بهذه التيارات الفكرية الجديدة تهب عليه من كل مكان فتعلمه أن يثور، وأن يرفض، وأن يحفر بأظافره قدرا جديدا إنه جيل يقرأ التاريخ ولكنه يرفض أن يبتلعه ضريح التاريخ)

وعن هندسة القصيدة العربية يقول نزار

(جيل اليسار يعتقد أن القصيدة التقليدية كما ورثناها. بأغراضها المعروفة. وأبياتها الملتصقة ببعضها التصاقا ضعيفا كقطع الفسيفساء، هى إلى الزخرف والنقش أقرب منها إلى العمل الأدبي المتماسك الملتحم كقطعة النسيج.

كما أن أسلوب بنائها يشابه بناء القلاع فى القرون الوسطى مرمر- رخام- وشموخ أعمدة. أما القصيدة الحديثة فهى أشبه بديكور حجرة صغيرة وزعت مقاعدها ولوحاتها وأوانيها بشكل ربما لا يوحى بالثراء الفاحش ولكنه يوحي بالدفء والألفة.

القصيدة التقليدية لون من الريبورتاج السريع يجمع فيه الشاعر كل ما يخطو بباله من شؤون الحب والحياة والموت والسياسة والحكمة والأخلاق والدين. كل هذا يعرضه الشاعر بخطوط متوازية لا تلتقي أبدا.

القصيدة التقليدية مجموعة أحجار ملونة مرمية على بساط، تستطيع أن تزحزح أي حجر منها إلى أية جهة تريد. ومع ذلك تبقى الأحجار أحجارا والقصيدة قصيدة.

هندسة القصيدة التقليدية هندسة مسطحة تعتمد على الخطوط الأفقية وعلى التقابل والتناظر، فى حين أن هندسة القصيدة الأوربية هندسة فراغية تعتمد على البعد الثالث. فالبيت فى القصيدة الأوربية ليس عالما قائما بذاته كما فى القصيدة العربية. إنه خلية حية تعيش بين مجموعة خلايا فى كيان عضوي واحد لذلك كان حذف بيت فى القصيدة الأوربية معناه تعطيل خلية عن أداء وظيفتها والقصيدة الأوربية بعد ذلك تنمو نموا داخليا متدرجا حتى تصل إلى نقطة التجمع الأخيرة كما تصب الروافد الصغيرة فى النهر الكبير، وكما تأخذ النغمات بأذرع بعضها لتشكل السيمفونية الهادئة.

تخطيط القصيدة العربية

إن القصيدة العربية ليس لها مخطط.. والشاعر العربي هو حياد مصادفات من الطراز الأول فهو ينتقل من وصف سيفه إلى تغر حبيبته، ويقفز من سرج حصانه إلى حضن الخليفة بخفة بهلوان. وما دامت القافية مواتية والمنبر مريحا فكل موضوع هو موضوعه، وكل ميدان هو فارسه- من حطين إلى اليرموك إلى القدس إلى الجزائر- إلى آخر هذا الفلم الإخباري الذي يعرضه علينا شعراء اليمين كما تعرض على الجمهور البسيط أفلام رعاة البقر فلا تتجاوز الإثارة سطح جلده.

فى هذه النقطة بالذات يتفوق اليمين على اليسار أو هكذا يخيل إلينا. فالفخامة والجزالة وتساقط الحروف العربية وتكسرها يحقق لها نجاحا منبريا أكيدا، لأن جمهورنا ورث مع ما ورث غريزة التطريب، وحسه الموسيقي مرتبط

تاريخيا بالآلات ذات الوتر الواحد وبالأدوار الشرقية التى تعتمد على تكرار النغمة الواحدة بشكل دوري.

أما الشاعر العربي الحديث فلا يحاول استعمال طريقة التخدير الموضوعي هذه ولا يلجأ إليها. إن اللغة لديه ليست غاية بحد ذاتها ولكنها مفاتيح إلى عوالم أرحب وأبعد وقيمة الحروف تكون بقدر ما تثيره حولها من رؤى وظلال وتبعثه من إيحاءات إن البناء الموسيقي فى قصيدة الشاعر الحديث مركب من فلذات نغمية تعلو وتخفت وتصطدم وتفترق، وترق وتقسو، وتهدأ وتنفعل. ويتولد من هذه الحركة الدائمة لذات القصيدة موسيقى داخلية هى إلى البناء السيمفوني أقرب منها إلى دقات الساعة الرتيبة.

إن ثورة اليسار على ناحية الشكل فى القصيدة التقليدية لا تعني أبدا رغبة اليساريين أو المعتدلين منهم على الأقل فى إلغاء هذا الشكل أو حذفه. إن وعيهم التاريخي فبجوالي لطبيعة الشعر عامة ولطبيعة القصيدة العربية خاصة وظروف نشأتها وتكوينها، يمنعهم من التطرف والمغالاة)

وإلى هنا أكتفي بهذا الفاصل النقدي من نزار. واحسب أن الملايين من عشاق شعر نزار يتوقون بل يتحرقون شوقا إلى أن يعرفوا رأي نزار ومنظوره للحب وعن الحب.. ولندع نزار نفسه.. يحدثنا عن رأيه فى الحب.

الحـــب

أنا من أسرةٍ تمتهن العشق.
والحب يولد مع أطفال الأسرة، كما يولد السُكَّرُ
فى التفاحة.
فى الحادية عشرة من عمرنا نصبحُ عاشقين، وفى
الثانية عشرة نسأم.. وفى الثالثة عشرة نعشق من جديد..
وفى الرابعة عشرة نسأم من جديد. وفى الخامسة عشرة
من العمر يصبح الطفل فى أسرتنا شيخاً.. وصاحب
طريقة فى العشق..
جدّي كان هكذا.. وأبي كان هكذا.. وإخواتي
كلهم يسقطون فى أول عينين كبيرتين يرونهما..
يسقطون بسهولة.. ويخرجون من الماء بسهولة..
كلّ أفراد الأسرة يحبّون حتى الذبح.. وفى تاريخ
الأسرة حادثة استشهاد مثيرة سببها العشق..
الشهيدة هى أختي الكبرى وصال. قتلت نفسها
بكل بساطة وبشاعريّة منقطعة النظير.. لأنها لم تستطع
أن تتزوج حبيبها..
صورة أختي وهي تموتُ من أجل الحبّ..

محفورةٌ فى لحمي. لا أزال أذكر وجهها الملائكي،

وقسماتها النورانية، وابتسامتها الجميلة وهى تموت..

كانت فى ميتتها أجملَ من رابعة العدوية.. وأروع من كيلوبترا المصرية..

حين مشيتُ فى جنازة أختي.. وأنا فى الخامسة

عشرة، كان الحبّ يمشي إلى جانبي فى الجنازة، ويشدّ

على ذراعي ويبكي..

وحين زرعوا أختي فى التراب.. وعدنا فى اليوم

التالي لنزورها، لم نجد القبر.. وإنما وجدنا فى مكانه

وردة..

هل كان موتُ أختى فى سبيل الحبّ أحد العوامل

النفسية التى جعلتني أتوفر لشعر الحبّ بكل طاقاتي،

وأهبه أجمل كلماتي؟

هل كانت كتاباتي عن الحبّ، تعويضاً لما حُرِمَتْ منه أختّي، وانتقاماً لها من مجتمع يرفض الحبّ،

ويطارده بالفؤوس والبنادق؟

إنني لا أؤكد هذا العامل النفسيّ، ولا أنفيه.

ولكنني متأكد من أن مصرع أختّى العاشقة، كسر شيئاً

فى داخلي.. وترك على سطح بحيرة طفولتي أكثر من دائرة.. وأكثر من إشارة إستفهام.

قلت إنني أنتمي لأسرة على استعداد دائم للحب. أسرة لديها (حساسية) مفرطة للوقوع في الحبّ.

وإذا كانت حساسيّات بعض الناس، منشؤها
الألوان، أو الروائح، أو الغبار، أو تغيّر الفصول،
فحساسية العائلة منشؤها القلب..
كلنا نعاني هذه الحساسيّة المفرطة أمام أشياء
الجمال..
كان أبي إذا مرّ به قوام امرأة فارعة، ينتفض
كالعصفور، وينكسر كلوح من الزجاج..
كانت قراءة رسالة، أو بكاء طفل، أو ضحكة
امرأة، تدمّره تدميرا كاملا..
كان جبَّارا أمام الأحداث الجسام، ولكنه أمام
وجه حسن التكوين، يتحول إلى كوم رماد..
عيناه الزرقاوان كانتا صافيتان كمياه بحيرة سويسرية،
وقامته مستقيمة كرمح محارب روماني، وقلبه كان
إناء من الكريستال يتسع للدنيا كلها..
كانت ثروته التى يفاخر بها، حبّ الناس. لم
يكن يريد أكثر. ويوم مات خرجتْ دمشقُ كلها
تحمله على ذراعيها.. وتردّ له بعض ما أعطاها من

حبّ..

أما أميّ فكانت ينبوعَ عاطفة يعطي بغير حساب.

كانت تعتبرني ولدها المفضّل، وتخصني دون سائر

إخوتي بالطيّبات، وتلبي مطالبي الطفولية بلا شكوى

ولا تذمّر.

ولقد كبرتُ، وظللت في عينيها دائماً طفلها

الضعيف القاصر. ظللت ترضعني حتى سن السابعة،

بيدها حتى الثالثة عشرة.

وسافرتُ بعد ذلك إلى جميع قارات الدنيا،

وظلّت مشغولة البال على طعامي وشرابي ونظافة

سريري. وتتساءل كلّما جلست الأسرة على مائدة

الطعام في دمشق: (تُرى هل يجد (الولدُ) في بلاد

الغربة مَن يطعمه؟.. والولدُ هو أنا بالطبع..

ويا طالما طارتْ طرودُ الأطعمة الدمشقية، إلى السفارات التي كنتُ أعمل بها.. لأن أمّي لم تكن

تصدّق أن هناك شيئاً يؤكل خارجَ مدينة دمشق.

أما عن أصعب الفكري فلم يكن بيني وبين أمّي

نقاط التقاء. فلقد كانت مشغولةً في عبادتها، وصومها،

وسجّادة صلاتها. تسعى إلى المقابر في المواسم، وتقدّم

النذور للأولياء، وتطبخ الحبوب فى عاشوراء، وتمتنع
عن زيارة المرضى يوم الأربعاء، وعن الغسيل يوم
الاثنين، وتنهانا عن قص أظافرنا إذا هبط الليل،
ولا تسكب الماء المغلي فى البالوعة خوفا من الشياطين
وتعلق أحجار الفيروز الأزرق فى رقبة كلّ واحد منا.
خوفاً علينا من عيون الحاسدين.
وبين تفكير أبي الثائر، وتفكير أمّي السلفي،
نشأتُ أنا على أرضٍ من النار والماء.
كانت أمّي ماءً.. وأبي ناراً.. وكنت بطبيعة تركيبي
أفضّل نار أبي على ماء أمّي..
لم يكن أبي متديناً بالمعنى الكلاسيكي للكلمة.
كان يصومُ خوفاً من أمّي، ويصلّي الجمعة فى مسجد
الحيّ- فى بعض المناسبات- خوفاً على سمعته
الشعبية.
كان الدين عنده سلوكاً وتعاملاً وخُلُقاً. وشهد
الله أنه كان على خُلُق عظيم.
دائماً كان فى ماله حق للسائل والمحروم. ودائماً كان فى قلبه مكان للمعذبين فى الأرض.
والرغيف فى منزلنا كان دائما نصفين.. نصفه

الأول لغيرنا.. والنصف الثاني لنا..

لم يكن أبي يفصل الدينَ عن إطاره الجمالي.

لذلك كان يقضي الساعات منصتاً بخشوع واستغراق

إلى صوت المقرئ العظيم الشيخ محمد رفعت. كان يعتبر صوته نافذةً مفتوحةً على نور الله.. وواحةً

من واحات الإيمان..

ولست أنسى أبداً ذلك اليوم الذي هدَّد فيه ببارودة

صيد مؤذناً قبيح الصوت، جاؤوا به إلى المسجد اللصيق ببيتنا، لأن صوته- برأي أبي- كان مؤامرةً على

المسلمين والإسلام. واختفى المؤذن نهائياً. ولم يعد

يجرؤ على الصعود إلى المئذنة...

كان تفكير أبي الثوري يعجبني.. وكنتُ أعتبره

نموذجاً رائعاً للرجل الذي يرفض الأشياء المسلّم بها،

ويفكر بأسلوبه الخاص.

بالإضافة إلى شبهي الكبير له بالملامح الخارجية،

فقد كان شبهي له بالملامح النفسية أكبر.

وإذا كان كل طفل يبحث خلال مرحلة طفولته

عن فارس، ونموذج، وبطل.. فقد كان أبي فارسي

وبطلي.. ومنه تعلّمتُ سرقة النار...

اغتصاب العالم.. بالكلمات

سرقةُ النار كانت هوايتي منذ بدأت بكتابة الشعر.

لم أسرق نار السماء كبروميثيوس.. لأن السماء لم تكن تهمني. كانت نار الأرض هي مطلبي، وإشعال الحرائق فى وجدان الناس وفى ثيابهم هو هاجسي.

كنتُ أؤمن أن الشعر هو إشعال عود ثقاب فى أشجار الغابة اليابسة..

الغابة تصبر أجمل عندما تشتعل، عندما يتحوّل كلُّ غصنٍ من أغصانها إلى شمعدان.

ومن هنا يكتسب قول دور نمات (إن الشعر هو اغتصاب العالم بالكلمات) أهميةً خاصة.

فبدون اغتصاب لا يوجد شعر..

حوار مع نزار

الحوار لغة التقدم ووسيلة للكشف حيث نكتشف ذواتنا من خلال الحوار ومع إكتشاف ذواتنا نكتشف الآخر وفى الحوار نغوص فى أعماق المعاني. ونفضفض ونبوح ومن مجموع مساحات البوح تكتمل الرؤية.. ولقد أخترت إحدى حوارات نزار قباني وسنقرأ قصة هذا الحوار من واقع ما كتبه نزار نفسه فى مقدمة الحوار.. وسنكتشف من خلال هذا الحوار مناطق كثيرة فى فكر وشعر نزار لم نكن لنراها لولا لغة الحوار التى تعمل عمل المثقاب الذي يثقب ويغوص ويستخرج لنا اللالئى والأسرار. فتعالوا لنستمع إلى هذا الحوار الذي عنونه نزار نفسه بـ

(لعبت بإتقان... وها هي مفاتيحي)

حكاية هذا الحوار

حين قررّنا إجراء حوار لمجلة الكرمل مع الشاعر نزار قباني، كان علينا الوصول إلى متمِّيز كثيف فى شخصيته، ووعيه، فالحوارات معه كثيرة لا تُحصى فى الصحافة، وهى تُلْقى- أبداً -بظلٍ نَمَطي بين يدي القارئ، فى حين ينفلتُ الشاعرُ من مواجهته الأقسى: ما الذي فعلتَ بالشّعْر؟

ومن أجل أن لا يكونَ هذا الحوار استنطاقاً أُحاديّاً، يُحدّد السياقَ لخطاب واحد، فقد استنفرتُ بعض الأصدقاء الذين يكتبون الشعر والنقد معاً، لنَضَع صيغة أكثَر شمولاً- بالتقويم الذي تحتكم إليه ذائقةُ كلّ واحد، ثقافياً -فى مواجهة أنفسنا، كجيل، وفى مواجهة الشاعر الذي وحَّد من حوله مفارقاتٍ هائلة فى التاريخ الراهن، على المستوى النثري، والشعري.

لهذا، وبحكم اختلافنا _كالتناقضات التي فى خطاب الشاعر نفسه _كانت الأسئلة التى كتبناها قاسيةً وحنونةً، وشاردة ومنسقةً فى الآن ذاته، فنزار قباني (جبهة) على خطّ التاريخ، ولا نستطيع التكهّن بالأسلحة التى تُخفيها تلك (الجبهة) من أجل اقتحامٍ أكبر، فى اتجاه زمنٍ أكبر.

كتبنا الأسئلة، وحملْتها إليه قبل ستة أعوام.

أخذ على نفسه وعداً بتسليم أجوبته فى أسبوع، فحطَّم الإسمنتُ الذي تطاير، فى انفجار مجنون، وعْدَهُ: لقد قَضَتْ زوجه (بلقيس) فى لعبة التناحر العمياء. فلم أعد إليه إجلالاً لألمه.

لكنَّ الوقتَ داهَمَنا بحصار إسرائيلي لبيروت، فيما بعد بفترةٍ لم يكن ألمُهُ أعادَ إليَّ شجاعةَ سؤاله، كصديق، عن أسطر من كلامٍ مكتوب: فإذا بي أذكِّرُهُ بعد سنين _هو فى منفى، وأنا فى منفى _فيداهمني بأجوبته، بعد أن زار أوراقَهُ فى بيروت زيارةً قصيرة، مُدَوِّناً فى رسالته المُرْفقة:

(حَدَثَتْ المعجزة، ووجدتُ الأسئلة التى وجهتَها إليّ فى نهاية القرن العاشر للهجرة)..

سليم بركات

* قيل كثيرا: (الشعر يغير العالم). لكن الصراعات الاجتماعية (الطبقية تحديدا) وكذلك السياسية، والحروب، التى هى ذروة اللا حوار؟ كلها، مجتمعة، تغير العالم. ما واقع هذا القول فى ضوء تجربتك الطويلة؟

- عندما يقول الشاعر بأنه بشعره سيغير العالم فيجب أن نصدقه، تماما كما نصدق الطفل عندما يخبرنا أنه امتطى غيمة، أو اصطاد نجمة، أو تكلم مع فراشة.

وعندما يقول لنا نابوليون، أو كارل ماركس، أو ماكيافيلي، أو هتلر، أو الاسكندر المقدوني، أو ستالين، أو هولاكو.. أو نيرون.. أو اسحق شامير.. إنهم غيروا العالم، فيجب أن نصدقهم أيضا.

وعندما يقول لنا الطيار الأمريكي الذي ألقى القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما، وقتل نصف مليون ياباني في ثانية واحدة، أنه غير مصير الجنس البشري، فيجب أن نصدقه أيضا.

كل من يملك السلطة يغير العالم على طريقته: الديكتاتور يغير العالم على طريقته، والعسكري يغير العالم على طريقته، والشرطي يغير العالم على طريقته، والراهبة تغير العالم على طريقتها، والمومس تغير العالم على طريقتها، والأنبياء، واللصوص، والملوك، والصعاليك، والسكارى، والمجانين، والحشاشون، كل واحد من هؤلاء يقول إنه سيغير العالم. والواقع أن جميع الناس يحلمون بالتغيير، ولكن الوسائل تختلف، والمواقف تختلف، والسلوكيات تختلف.

ثم أن النساء أيضا يغيرون العالم. كيلوباترا غيرت خرائط الامبراطورية الرومانية، ونفرتيتي غيرت خطوط الحضارة الفرعونية، وشجرة الدر غيرت تاريخ المماليك، وماريا كالاس غيرت مسار السفن اليونانية التى يملكها أوناسيس، وماري انطوانيت رفعت سعر الخبز في باريس، وجورج صاند غيرت موسيقى شوبان، وجيهان السادات شدت أنور السادات من أذنيه إلى تل ابيب، وجسد مارلين مونرو الجميل لخطب أدب أرثر ميللر، وأحذية مدام ماركوس ساعدت على طرد زوجها من الفلبين، وألبرتو مورافيا دخل بين شفتي زوجته الصغيرة جدا كارمن ولم يعد حتى كتابة السطور.

اذن فدعاوى التغير لا تنتهي، حتى النملة تستطيع ان تدعي انها المسؤولة

عن تنظيم حركة المرور تحت قشرة الكرة الأرضية، كما يستطيع العصفور ان يدعى أنه أسس أول شركة طيران فى العالم، قبل أن تكون شركة ألبان اميركان، والايرفوانس، والخطوط الجوية البريطانية.

واذا كان الجنرالات، والعقداء، وأصحاب الميليشيات

ويقتلون أسرع منا، ويغيرون العالم بالسيارات المفخخة، والمسدسات المكتومة الصوت، وطائرات الـ ف 16 _فإن الشعراء يغيرون بالسرعة الإملائية، ويغيرون ضمير الانسان، كما تفعل حنفية الماء: نقطة.. نقطة.. نقطة..

نحن الشعراء، نؤمن بسباق المسافات الطويلة.

صحيح أن المسدس المكتوم الصوت أشطر منا، والرصاصة أسرع منا، ولكن الوردة، حتى تطلع، بحاجة الى تسعة أشهر من الصبر، والشغل، والتحضير.

نحن لا نريد أن ندخل فى سباق مع المسدس، أو مع المشنقة، أو مع الكرسي الكهربائي، ولا نؤمن أصلا بالورد البلاستكي المزروع فى المختبرات.

نحن من سلالة أيوب عليه السلام، ولدبينا من مخزون الصبر والتحمل ما يرشحنا للانتصار بالضربة القاضية، أو بالقصيدة القاضية، على كل جبخانات الأسلحة النووية المخزونة فى العالم.

أما اذا سألتموني عن تجربتي، فأقول لكم اننى حفرت الوجدان العربي، خلال أربعين عاما، على طريقة حنفية الماء: نقطة.. نقطة.. نقطة..

لم أستعمل المواد البلاستيكية، ولم ألجأ الى العبوات الناسفة، والديناميت، ولكنني فى كل أمسية شعرية، بين المحيط والخليج، حركت المياه الجوفية فى داخل الانسان العربي، وزرعت نخلا، ورمانا، وتفاحا، فى الأرض المالحة.

وبعد أربعين عاما من التنقيط، والري، وتوزيع قنوات الماء، أشعر أن الارض

صارت أقل ملوحة، وأن نهد المرأة العربية صار شجرة ياسمين، وأن الرجل العربي صار يستعمل الشوكة والسكين، وهو جالس على مائدة الحب، بعد أن كان يأكل بأظافره، وأنيابه، على طريقة الماوماو..

وهذا تقرير موجز عما أحدثت من تغيرات على خارطة الشر العربي، وأرجو أن تقرأوه دون أن تتهموني بالنرجسية والغرور:

أولا- بعد أن كان الحب مقموعا، وخائفا، ومطاردا، وملعونا، ومكروها، ومرفوضا، وسريا، أخرجته من (التابو)، ومنحته الشرعية والعلنية.

ثانيا _بعد أن كانت اللغة الشعرية، إقطاعية، وطبقية، ومتجبرة، ومتكبرة، وغليظة، وثقيلة الدم، علمتها فن العلاقات العامة، وطريقة الحوار الديمقراطي، وأجبرتها على النزول الى المقاهي والمطاعم الشعبية والشوارع الخلفية، والاختلاط بالبروليتاريا. وباختصار كنت أول من أعلن (تأميم الشعر)، قبل أن يؤمم جمال عبد الناصر قناة السويس.

ثالثا _بعد أن كان (الخطاب السياسي) خطبا تلفيقيا، انتهازيا، انكشاريا، ارتزاقيا، حكوميا، انبطاحيا، حولته الى حزب راديكالي، وأغلقت باب الارتزاق فى الشعر، سواء كان بالدولار، أو بالمارك، أو بالجنيه الاسترليني، وشنقت جميع المرتزقين بحبال قصائدهم.

* فى كل شعرك (السياسي) أنت ناقم، ثائر. لكنك _كشخص _لم تنخرط فى مواجهة مع نظام، كان شعرك (عموم) وكأنك _كفرد _تخصيص. ونحن نعلم أن الكلام، فى عمومية إطلاقه، لا يستثير نظاما. والشخص، كتخصيص فى الموقف، يجعل من نفسه عرضة للانتقام. أين أنت من هذا وذاك؟

- إننى خلاف ما تقول تماما، فى مواجهة مع جميع الانظمة. والمعيار لهذه المواجهة الشرسة والمستمرة، هى كتبي، فكل الأنظمة تستعمل (الفيتو) ضد

كتاباتي، وكل الكلاب البوليسية صارت تعرف رائحة حروفي عن ظهر قلب.

وأنا لا أوافقك على ضرورة التسمية فى الشعر، فالتسمية فى الشعر تسئ الى الشعر، وتحوله الى خناقة فى شارع. أو الى ثأر شخصي. وأنا كشاعر. لا أثأر من أشخاص، وانما أثأر من أفعال وممارسات وانحرافات قومية.

الشعر هو فن الإشارة والإيماء، ولا علاقة له بفن الكاراتيه، والمصارعة اليابانية، والإعلانات المبوبة.

أنا حين، أتحدث عن الديكتاتورية، فإنني أثير الأذهان، أكثر مما لو تحدثت عن ديكتاتور واحد. وحين أتحدث عن الكذب والعهر السياسي، فإنني أحرك فضول الناس، أكثر مما لو تحدثت عن كذاب واحد، أو متعهر واحد. وحين أتحدث عن الطاعون الذي يفترس جسد الأمة العربية، فإنني أكون أكثر تأثيرا مما لو تحدثت عن حالة واحدة، أو عن مريض واحد.

إن المواجهة الجسدية مع نظام من الأنظمة؛ ليست بذات أهمية، فالشاعر ليس مجموعة من العضلات، بل هو طاقة روحية هائلة، وسلطة فكرية تتقدم على كل السلطات.

ولو كان جسد الشاعر بهذه الأهمية التى تصورها، فإن كلاشينكوفا واحدا يكفي لتصفية جميع شعراء العالم.

وباختصار أقول، ليس هناك عمومية أو خصوصية فى الشعر. وأنا لم أكن فى يوم من الأيام شاعرا سريا، أو باطنيا، أو لجأت الى سدا التقية فيما أقول، أو أكتب.

إننى لم أدخل فى حياتي حزبا سياسيا، ولم أربط نفسي بأي تجمع ثقافي، ولم أنخرط فى أي تنظيم سري، ولم أضع شعري فى خدمة أية ايديولوجية. لقد

كان الانسان هو انتمائي الوحيد، وكانت الحرية هى الانثى الوحيدة التى تزوجتها. فأنا رجل لا يؤمن بتعدد الزوجات، ولا بتعدد الانتماءات، ولا بتعدد السروج.

* الى أي مدى يمكن للرجل أن يتماهى مع المرأة؟ أي يتحدث الشاعر عن المرأة، بعامة، من موقعه الذكوري، وقد ينجح فى حالات قليلة الى التقول بلسانها عن أحاسيسها كأنثى. لكنك أكثرت من ذلك. فهل أنت تجسيد للقول البليغ البليغ: (فى كل ذكر أنثى أيضا؟..).

- نعم.. نعم.. أنا تجسيد لهذا القول البليغ. وهو قول ليس بليغا فقط بمعنى البديع والبيان والفذلكة الكلامية، ولكنه قول له أسانيده العلمية والطبية والتشريحية.

فالمعروف أن الجنين فى رحم أمه يكون، فى أسابيعه الأولى، حائرا بين الذكورة والأنوثة، أى أنه يكون خلطة كيميائية لا جنس لها، ثم يحسم ربك الأمر، فيرسم نهدين هنا، وشاربين هناك، ويحل القضية بالتي هى أحسن، ويفك الارتباط بين الجنسين، ويرسم حدود المنطقة المنزوعة السلاح.

ولكن، برغم معاهدة فك الارتباط بين الجنسين، فإن العلاقة التاريخية الأولى، التى بدأت فى الرحم، تبقى مخزونة فى ذاكرة الذكر والأنثى معا، بحيث لا ينسى الذكر أصوله الأنثوية، ولا تنسى الأنثى جذورها الذكورية.

فاذا كنت قد كتبت عن المرأة بمثل هذه الدقة، والتطويل، فلأن ذاكرتي الأنثوية لا تزال نشطة، ولأنني وفى جدا لمرحلة ما قبل فك الاتباط.

* ضربة حظ أنت فر الشعر، أم قرار شعري؟

- لو أن دواليب اليانصيب تفرز شاعرا كلما دارت، لكان عدد الشعراء فى

العالم أكثر من سكان الصين الشعبية.

أنا قرار شعري اتخذه الشعب العربي بالإجماع، ولا يزال قرار انتخابي رئيسا لجمهورية الشعر اوتوماتيكيا كل خمسة وعشرين عاما، مثل كل رؤساء وملوك المنطقة العربية. ولكن الفرق بيني وبينهم، أن الناس هم الذين ينتخبونني، وأجهزة المخابرات هى التى تنتخبهم بنسبة ٩٩٩ بالمئة.

* فى شعرك، وفى موضوعات شعرك، قيل ويقال الشئ وضده، فأنت مجدد ومحافظ، شكلاني ومضموني، والمرأة حرة عندك، وعبد، تطالب لها بالإفلات من القيود الاجتماعية، وتشيئها بحيث تكون مجرد انعكاس سلبي لرغبات محددة، كيف يمكن أن تحل، أنت، هذا التناقض؟

- إنني أحب تناقضاتي، ولا أجد سببا لانكارها أو التنصل منها. فالشاعر نسيج من الدم واللحم، والزوابع والبروق، وليس (قالب بالوظة).

أنا الأبيض والأسود، والثلج والنار، والقديس والشيطان، والمحافظ والليبرالي، والأصولي واللا أصولي، والقانوني والخارج عن القانون، والأكاديمي والفوضوي، والحضاري والبدوي، والتاريخي والهارب من مقبرة التاريخ.

المرأة فى حياتي لم تكن أبدا صورة معلقة داخل برواز.

عرفت، خلال أربعين عاما، جميع أنماط النساء. فعلى أوراقي تجد العشيقة، وتجد الصديقة، وتجد الطاهرة، وتجد العاهرة، وتجد الباردة، وتجد الشهوانية، وتجد السلطانة، وتجد الجارية، وتجد العذراء، وتجد المحترفة، وتجد من تقول لك شفتها العليا: (لا)، فى حين تقول لك شفتها السفلى: (أدخلوها بسلام آمنين..). إذن، فالمرأة طقس، ومناخ، ومطر استوائي. لذلك كان شعري يتابع تحولات الحب، وتحولات النساء، كما يفعل موظفوا مصلحة الأرصاد الجوية.

إن التناقضات فى الشعر حالة صحية جدا، والشاعر الذي لا يتناقض هو معلم حساب فى مدرسة ابتدائية لا يعرف سوى جدول الضرب، وأعمال الجمع والطرح والقسمة.

أنا لست أبا العلاء المعري، ولا زهير بن ابي سلمى، ولا أبا العتاهية، وليس عندي حكم مأثورة تصلح لكل زمان ومكان.

قد أكون اليوم بابلونيرودا، وغدا رامبو، وبعد غد ديك الجن الحمصي، وعندما أتجول فى شوارع باريس قد أصبح بول ايلوار، وعندما أهبط فى مطار هيثرو فى لندن قد أصبح ت. اس. ايليوت.

إن جواز السفر الذي استعمله ليس عليه صورة، ولا أختام، ولا تأشيرات، ومع ذلك فإن صالات الشرف تفتح لي فى كل مطارات العالم، لا بصفتي جنرالا من جنرالات الحرب، أو خبيرا من خبراء الأسلحة، ولكن بصفتي خبيرا بقلب الانسان.

* عودتك، دوريا، الى القصيدة العمودية، تحدث- فى الغالب- بناء على رغبة تتقصد الشهادة فى حدث ما، كأن متطلبات القول العام (السياسي ربما) هى التي تفترض الشكل المسبق للكتابة. هل الشكل وظيفي الى هذه الدرجة؟ أم أن الأذن العربية، وبلاغتها الايقاعية، هى التى تحدد وظيفة السلوك؟

- اللغة زي قومي. وكل شعب يلبس اللباس الذي يريحه، ويتناسب مع الطقس الذي يعيش فيه. إذن فالملابس جزء من حاجات الانسان، ومستلزمات وجوده، وبالتالي فإن الملابس أصل، والعري هو استثناء.

وأنا، كشاعر، لا بد لي أن ألبس لغة ما؛ خرقة ما، حتى أتفاهم مع محيطي ومجتمعي، وإلا سقطت من مواطنيتي، واتهمت بالشذوذ أو بالجنون.

والقصيدة العمودية ثوب من الأثواب موجود فى خزانتي، مثل جميع الأثواب. لا أحد يرغمني على ارتدائه، ولا أحد يرغمني على بيعه فى المزاد العلني.

إنها موجودة جنبا الى جنب مع قصيدة التفعلية، والقصيدة الدائرية، وقصيدة النثر، كما توجد بدلة السموكن الى جانب العباءة، وبدلة الفراك الى جانب الدشداشة، والقنباز الى جانب بنطلون الجينز، والطربوش الى جانب البيريه، والعمامة الى جانب المايوه.

خزانة التاريخ اذن ملأى بعشرات الأزياء، والأشكال، والألوان، والمهم أن لا يفرض على أحد ماذا ألبس، وأن لا يتدخل أحد فى اختياراتي، وذوقي، وألواني المفضلة، ومثلما يفرض المسجد عليك أن تلبس لباسا كلاسيكيا محتشما، ومثلما تفرض الجامعة على أساتذتها أن يلبسوا لباسا أكاديميا معينا، فإن الخطاب السياسي يفرض عليك لغة قادرة على التواصل والاختراق، قد لا تستعملها وأنت تكتب قصيدة حب تتوجه بها الى حبيبتك فقط.

إنني، حين أكتب القصيدة العمودية لأغطي بها حادثا سياسيا ما، فإن هذا لا يعني بشكل من الاشكال أنني أخون قضية الحداثة. فهناك توقيت لشعر الحدثة، كما هناك توقيت لشعر الوزن والقافية. وعدم مراعاة هذا التوقيت، بدقة، يدخل الشتاء فى الصيف، وشهر شعبان بشهر رمضان، ويسبب للمتلقين الدوار والإغماء.

ثم إن الأذن العربية ليست زائدة دودية يمكن قطعها متى أردنا، واستبدالها بأذن من البلاستيك. وكما أن أم كلثوم لا يمكن أن تغني عشاء أو براليا على طريقة مأويا كالاس، فإن المغني المصري العظيم سيد درويش لا يمكن أن يتحول، بين ليلة وضحاها، الى مايكل جاكسون..

* الالتباس الذي يسود الكتابة الواحدة، ليس نتاج اللغة كمعطى، بل يتعدى اللغة الى نسيجها الدلالي. فقصائد المعاني، وقصائد المضامين، وحتى قصائد الحكاية (المشاغبة) تظل فى المناخات المعنوية للقصيدة الكلاسيكية نفسها، أي: إن الكلام الذي بتنوع فى قصيدتك، على صعيد المفردة، والجملة، يخضع لنسق جمالي سابق له. ويظل- تاليا- كلاما قابلا للمعنى الشامل، وربما للتشابه؟

- لا أفهم الى أين تريدون الذهاب فى سؤالكم التعجيزي؟ هل تريدون القول إنني لم آت بجدية فى خطابي الشعري، وإنني صورة منسوخة بالكاربون لعنترة العبسي، والشنفري، وعمرو بن كلثوم، وجرير، والفرزدق؟ ثم، هل تريدون القول إن المفردة عندي لا تزال نجدية، حجازية، صحراوية، وإن المعاني والصور عندي هى ذات المعاني والصور التى استعملها شعراء القرن الاول للهجرة؟ وبالتالي، هل تريدون القول إن جميع الثياب التى لبستها خلال أربعين عاما كانت ملابس مستعملة SECOND HAND، وان كل القماش الذي استعملته كان من وبر الجمل، وانني لا أزال أربط ناقتى على باب فندق دورشستر فى لندن؟

اذا كنتم تقصدون- وأرجو أن أكون مخطئا فى فهمي- أن كل ما صنعته فى الشعر وللشعر خلال أربعين عاما، كان صناعة بدوية صرفة، فإن الكارثة من هذا المفهوم العشوائي للنقد، هى كارثة عظمى.

فبتطبيق أساليب غسل الدماغ على التجربة الشعرية، يحول الناقد الى رجل بوليس، ويضع شعراء العالم جميعا فى قفص الاتهام، بدعوى أن مفرداتهم مسروقة، وسراويلهم مسروقة، وثقافتهم مسروقة، فيدخل شكسبير الى الزنزانة بتهمة تقليد سوسر، ويدخل أحمد شوقي الى السجن بتهمة تقليد البحتري، ويدخل ت. اس. ايليوت الى السجن بتهمة تقليد إزرا باوند، ويدخل أدونيس

الى السجن بتهمة تقليد سان جون بيرس، وتدخل كل ثقافة أوربا الى السجن لأنها من أب يوناني وأم ايطالية.

اذا كانت الحداثة لديكم تعني (تنكيس) رأس الانسان، من كل معرفة سابقة، وكل لغة سابقة، وكل تجربة سابقة، فبأي لغة تقترحون علينا أن نكتب؟ وما هى المفردات التى تقترحون علينا أن نستعملها، حتى نتفاهم مع الوجدان العام، ونستحق أسماءنا كشعراء؟

إن اللغة التى صغتم بها أسئلتكم، هى لغة راقية، وبالتالي فهي ليست لغة هابطة، ولا متخلفة، ولا معاقة، ولكنها، بكل تأكيد، منقولة عن نموذج سابق.

إن ذاكرتكم اللغوية جيدة جدا، ولذلك كان حوارنا ممكنا. اللغة مثل فصيلة الدم، وكما لا يمكن للانسان أن يغير فصيلة دمه كل يوم، فليس بإمكانه استبدال لغته باللغة المسمارية، أو السنسكريتية.

ثم ان اللغة شجرة تورق، وتزهر، وتثمر ككل الاشجار. وكما الشجرة قابلة للتلقيح، وتغيير شكل أوراقها، وأغصانها، ونكهة ثمرها، فإن اللغة ايضا قابلة للتلقيح، والتشذيب، والتقليم، بحيث تكتسب أشكالا جديدة، وإيقاعا جديدا، وعادات جديدة.

إن اليابانيين استطاعوا أن يتحكموا فى حياة الشجر، ويغيروا طبائعه، وطول قامته، ونوعية ثماره، ونظام مواسمه، فلماذا لا نطور لغتنا على الطريقة اليابانية، ولماذا تصر على اغتيال كل ما لدينا من أشجار نخل بحجة أن النخلة ميراث بدوي، جاهلي، صحراوي، لا يليق بعصر الكومبيوتر؟

إنني لست متعصبا للنخلة؛ ولا أنا ضد زهرة التوليب الهولندية، ولكن أنفي يبقى- حتى أموت- من حزب الياسمين الدمشقي.

* أنت لا تقف عند اختيار ألفاظك فى النص الشعري، فكل ما حولك من أسماء، أفصيحة كانت، أم عامية، أم أجنبية هى فى وارد الحضور، كأنك تختزل قارئك، وذوقه الشعري (واللغة أساس الشعر) الى حال محضة. ألك تبريرك؟

– الجمهور كتلة جمالية غامضة. عجينة لينة وغير محدودة الشكل، حتى يأتى الشاعر فيعجنها ويعطيها شكلها البديعي والذوقي. نعم.. أنا أختزل قارئي، وبعبارة أخرى أنا أصنعه وأصوغ ذوقه. إن مهمتى كمهمة المصفاة فى المختبرات وفى مصانع العطور. إن لغتي الشعرية ليست لغة جاءت بالمصادفة، أو طلعت لى باليانصيب. إنهتا عملية انتقائية أخذت منى عشرات السنين حتى تكونت. وليس صحيحا أن كل الكلمات والاسماء فى قصائدي واردة الحضور. لو كان الأمر كما تقولون لكان هناك ألف نزار قباني على المسرح الشعري العربي. ولكن ليس هناك سوى نزار قباني واحد، له خصوصيته فى اللغة، وله ورشة للقص، والتفصيل، والخياطة، كما لبيير غاردان، وايف سان لوران، وتيد لا بيدوس، وكريستيان ديور.

× فى تجربتك ميل الى ادماج المفردة العادية، والتفصيل العادي– ربما فى الصياغة الشعرية. كأن ثمة تأكيد على الحميم، وعلى العابر، وعلى الأدوات البسيطة للمشهد أو للفكرة أو للإحساس المباشر، فى حدود انسجام هذه العناصر (العادية) مع القول الشعري (الجميل) أو (المؤثر) أو (الدراماتيكي) الذي لا يبتعد عن حكمة فى (العيش)، أو فهم (للعيش). أتجربتك فى أساسها تجربة شعرية؟

– يؤسفني أن أقول لكم إن لنا رؤيتين للشعر متباعدتين جدا، بل متناقضتين جدا. ففي حين تعتبرون كل ما هو حميمي، ويومي، ومعاش، ضد الشعر،

أعتبره أنا أساس الشعر وجوهره. فما هو العيب في أن يكون الشعر جزءا من خبزنا اليومي، وعشقنا اليومي، وحزننا اليومي، وكلامنا اليومي؟

ما هو العيب أن يكون الشعر (خلاصة عيش)، أو (حكمة عيش)، أو مخطوطة لسيرتنا الذاتية؟

إن شعوب العالم الثالث بحاجة الى قصيدة تشبه استدارة الرغيف، ولها رائحة الحنطة. ولديها من المآزق الاقتصادية، والصحية، والسكنية، والتعليمية، والمذهبية، والاستعمارية، ما يفيض عن اللزوم.

والشعر ليس مادة كمالية مخصصة للملائكة، وزوجات الملائكة، وأولاد الملائكة، فحسب، ولكنه شحنة مستعجلة من الدقيق، والبطانيات، والحليب المجفف، يحتاج اليها ملايين الأطفال في السودان وبنغلادش..

وأرجو أن لا تتصوروا انني أخلط في كلامي بين الجميل على مدى أربعين عاما، أكدت لي أن النص الشعري الذي يتوجه للانسان، يمكنه أن يكون جميلا ومفيدا في الوقت ذاته.

أما النصوص الشعرية الموجهة الى فضاءات غير مسكونة بأحد، وقارات غير مسكونة بأحد، والمكتوبة بلغة لا يتكلمها أحد، فهي مثل الاسلحة الفاسدة التي تنفجر في أيدي صانعيها قبل إطلاقها.

أما سؤالكم عن تجربتي، واذا كانت في أساسها شعرية أم غير شعرية، فهو بحاجة الى استفتاء شعبي عام، يقول الجمهور كلمته فيه، برغم أن كلمة الجمهور تسبب لكم حساسية جلدية، وحكة دائمة... شفاكم الله.

* ترمز في مذكراتك الى الشعر بسمك أحمر يقفز اليك من البحر. وكل شئ عندك يكسب شرعيته الشعرية عبر إغرابية، أو مجلوبية Exotism من هذا

النوع. فما القول فى قارئ يتعامل مع شعرك بتعميم لهذه النظرة: أي: اعتبار قصائد الحب أشبه ببطاقات بريدية من بلد بعيد، ومن (شرفة على قمر)؟

- أنا ما أزال أن الأبيات الشعرية الأولى التى قفزت من مياه البحر الأبيض المتوسط فى العام ١٩٣٩، كانت مجموعة من السمك الأحمر، وما دام القراء قد صدقوا رؤيتي فهذا يعني أن السمك الأحمر كان سمكا حقيقيا، لا سمكا مجازيا، أو رمزيا.

ثم ما هو الشعر اذا لم يحمل الى الناس الدهشة، والانبهار، ويخرج العصافير والاسماك، والغزلان من صندوق الفرجة؟

إنني أكتب شعرا لا تقريرا اقتصاديا، أو وصفة طبية، أو أضع أرقام موازنة الدولة. وبالتالي فأنا أقص على الناس حلما، وأترك لهم مطلق الحرية فى تصديقه، أو رفضه.

ولمعلوماتكم أقول إن أكثرية الشعب العربي صدقت أحلامي، أما الأقلية فلا أهتم بها، لأنها مصفحة ضد الحلم.

* كيف يمكن أن تتصالح- وأنت القائل مع سارتر إنك لم تتوقف لحظة من اللحظات عن تغيير جلدك- مع هذه الصورة التي أصبحت ثابتة، فى ذهن قارئك، عن المتعة الفنية التى يجب أن ينتظرها هذا القارئ؟ كيف يمكن أن تتصالح مع كونك شاعرا مصنفا؟

- تغيير الجلد لا يعني أن نطلب من سارتر أن ينام فيلسوفا وجوديا، ويستيقظ فى اليوم التالي، وهو راقصة من راقصات الفولي بيرجير. ولا يعني أن ينام راسين ويستيقظ فى اليوم التالي وهو رينيه شار، ولا يعني أن ينام فيكتور هوغر شاعرا كلاسيكيا، ويستيقظ فى اليوم التالي وهو اندريه بروتون. وتغير جلدي، لا يعني أن أنام شاعرا الحب، وأستيقظ فى اليوم التالي ولي لحية

الشيخ محمد عبده، أو جمال الدين الأفغاني. تغيير الجلد، يعني أن لا يبقى الشاعر مزروعا كأهرامات الجيزة. فى المكان ذاته خمسة آلاف سنة، وأن لا يبقى كأهل الكهف يتعاطى الأفكار ذاتها، ويؤمن بالقناعات ذاتها، ويحتفظ بنقود لم تعد صالحة للتداول.

تغير الجلد، هو حالة من اليقظة، والطموح، والتحفز تمنع الكاتب من الدخول فى مرحلة الغيبوبة، وتدفعه الى أن يكون جزءا من ايقاع العصر، وحركة التاريخ.

أما كوني شاعرا مصنفا، فليس فى العالم كله شاعرا غير مصنف.. فالتصنيف معناه أن يكون لنا وجه، وملامح، وبصمات، وجواز سفر نعبر به الى العالم.

أما الشاعر الذي لا يدخل تحت أى نوع من أنواع التصنيف، فلا وجود له على خريطة الشعر أصلا.

* كيف تتصور الشيخوخة؟ ومتى يمكن أن تعتبر نفسك (متقاعدا)؟ وهل لديك تصور لحياة المتقاعد الذي قد تكونه ذات يوم؟

- بالنسبة لى هناك شيخوختان. شيخوخة الجسد، وشيخوخة الكتابة. أما الشيخوخة الجسد فهى حالة كيميائية تتعرض لها كل الكائنات الحية، بغير استثناء، وقانون يطال الجميع. وشيخوخة الكتابة، هى التى تتيبس فيها الأصابع، ويتخشب فيها القلب، وتتحول فيها ورقة الكتابة الى ضريح.

هذه الشيخوخة هى التى تخفيني.

أما متى أتقاعد عن الكتابة، فهو اليوم الذي ينسحب فيه جمهوري من القاعة، ليبحث عن نجم جديد.

انني أعرف أن (فتى الشعر الأول) مثل فتى الشاشة الأول، لا بد أن يدخل في الكسوف، وان تتحول عنه الأضواء والكاميرات. ولحسن الحظ، فأنا أملك من الشجاعة والواقعية، ما يسمح لي أن ألبس معطفي، واتكئ على عصاي، وأنسحب من الباب الخلفي للمسرح.

أما كيف سأقضي حياة المتقاعد، فانني لا أعرف أن ألعب الورق، ولا الشطرنج، ولا الدومينو، ولا البلياردو، لذلك فلن أكون متقاعدا (كلاسيكيا) يشرب القرفة واليانسون، في نادي المتقاعدين. إنني أتصور إنني سأبقى كالهولندي الطائر مبحرا فوق سفينة لا تعرف الى أين، حتى تأكلني الأسماك.

* بلغت مبلغ الحكمة عمرا (أطاله الله). أيشغلك الموت، مع حسباننا أن هذا الشاغل ليس حكرا على عمر؟ وهل الكتابة عن الأنثى- لديك- هي احتيال على مشاغل الموت، الآن؟

- كوني أكتب شعرا، هو حصانة ضد الموت. الشعر هو المضاد الحيوي أو (الأنتيبايوتيك) الذي ينتصر على جراثيم الموت.

عندما رثيت الشاعرة ناديا تويني، قبل أعوام في بيروت، قلت إن الموت كان يطرق الباب عليها، فاذا رآها تكتب شعرا، انسحب على أطراف أصابعه، واختجل من نفسه.

الشعراء وحدهم هم الذين ينتصرون على موتهم، أو يؤجلونه على الأقل. والموت الشعري، مثل الموت الفرعوني، غير ممكن. فدانتي، وشكسبير، والمتنبي، وبودلير، ورامبو، وايلوار، واراغون، ولوركا، مثل الفراعنة الجالسين حتى الآن في مقاهي الجيزة، والكرنك، وأسوان، ووادي الملوك، يشربون الشاي ويدخنون الشيشة.

* لا نحس في شعرك هاجسا بالموت؛ جدله مع اللذة، أو مع الحب؟

- عندما أكون في فراش واحد مع حبيبتي، فلماذا أسمح للموت أن يندس تحت شراشفي؟ إن سرير الحب لا يتسع أبدا لثلاثة أشخاص.

الشهوة غايتها الأولى هي حفظ السلالة، أما الموت فهو مثل حبوب منع الحمل، قاطع لجميع السلالات.

* أنت شاعر حواس لا تجريد: لمس، لسان، شم، عين. هل تعتبر واحدة منها مدخلك الى العصر؟

يقول مارسيل بروست مثلا: (الشم هو حاسة الذاكرة) L'odeur C'est Le sens de La memoire . ويقول محمود درويش، وكأنه يستعيد أرضا بالأنف: (ورائحة البن جغرافيا).

- الحواس الخمس هي النوافذ التي تدخل منها شمس الشعر. ومن دون هذه النوافذ لم يكن هناك رسامون، ولا نحاتون، ولا موسيقيون، ولا شعراء، ولا روائيون، ولا مسرحيون، ولا حتى طباخون..

المرأة قبل أن تكون فاكهة عقلية صرفة، هي رائحة، وارتفاعات، وانخفاضات، ودوائر، وخطوط هندسية.

والمرأة التي رسمها ليونارد دافنشي، ورفائيل، وميكيل انجلو، في عصر النهضة، على سقوف الكنائس، لم تكن امرأة تتبع قواعد الريجيم، وانما كانت المرأة الممتلئة، المربربة، المتهدلة الثمار كشجرة المانغو.

وهذا يعني أن الدين في محاولاته التبشيرية الاولى، لم يكن دينا تجريديا، وانما كان دينا واقعيا يخاطب جسد الانسان وحواسه الخمس. وليست الحور العين اللوتي جاء ذكرهن في النصن القرآني والتصوير الجميل لمشاهد الجنة، سوى تأكيد على أن الدين الاسلامي كان دين تجسيد لا تجريد.

واذا كان الشعر الصوفي قد حاول أن يعلم الناس أن يأكلوا الحب بالشوكة والسكين، فإن غالبية شعوب العالم- حتى فى الدول الأوربية المتحضرة- لا تزال تمارس الحب بأصابعها العشرة فى الحدائق العامة، وفى دهاليز المترو.

أما قول محمود درويش إن (رائحة البن جغرافيا)، فهو ليس جديد، لأن قهوة أمه فى فلسطين مثل قهوة أمي فى دمشق، دخلت فى أطلس الجغرافيا من زمان بعيد. وفى شعري الذي كتبته عن النباتات التى كانت تزرعها أمي فى بيتنا الدمشقي العتيق، من شمشير، وخبيزة، ومنثور، وأضاليا، وياسمين، وورد بلدي، ما يكفي لكتابة معجم زراعي.. ومن قصيدتي (من مفكرة عاشق دمشقي) أحب أذكركم بهذه الأبيات:

أنا قبيلةُ عشّاق بكاملها
ومن دموعي سقيت البحر والسُحُبَا
فكلُّ صفصافةٍ حولتُها امرأةً
وكل مئذنةٍ رصعتُها ذهبًا
هذي البساتينُ، كانت بين أمتعتي
لما ارتحلتُ عن الفيحاء مغتربًا
فلا قميصَ من القمصان ألبسُهُ
إلا وجدتُ على خيطانه عِنَبا..

فإذا كانت قهوة محمود درويش فى الغربة قد صارت جغرافيا، فإن قمصاني فى الغربة صارت عرائش عنب، ومآذن دمشق صارت أشجار صفصاف، وما فى حدا أحسن من حدا..

* أنت شاعر ذاكرة: تفاصيل وتفاصيل وتفاصيل. هل جربت المحو والنسيان؟ كما أنك لست داخلا فى التباس مع الأشياء، كأن المعالم واضحة عندك. لماذا هذه الوضوح الواضح؟

- ولماذا هذا الغموض الغامض فى أسئلتكم، وفى رؤيتكم الشعرية؟ هل من الضروري أن نتخانق مع ورقة الكتابة، أو أن نكسر مزراب العين، أو أن نتبول فى الشارع العام، أو أن نعض نهد امرأة فى بيسين السباحة، لنثبت للناس فحولتنا أو تحررنا، أو تقدميتنا، أو حداثتنا؟؟

إنني لا أؤمن بالفلتان الشعري، كما لا أؤمن بالفلتان الأمني. فالشعر نظام، وانضباط مع النفس، ورقابة صارمة على الذات. قد أكون مجنونا ما بيني وبين نفسي، ولكنني عندما أجلس أمام ورقة الكتابة فإنني أشعر بأنني مسؤول عن مستقبل هذا العالم.

أما اعتراضكم على الذاكرة، وعلى التفاصيل، وعلى الشؤون الصغيرة، فاعتراض عجيب، لأن التاريخ كله تفاصيل، والروايات، والمسرحيات، والسمفونيات، والفنون التشكيلية، والسير الذاتية، والعلاقات الغرامية، كلها تفاصيل.

والشعر العربي ولا سيما الجاهلي منه، كان أعظم شعر تفصيلي فى العالم، لأنه كان يخلق من بعرة الجمل فردوسا، ومن ملقط شعر تركته الحبيبة ثروة قومية..

الذاكرة هى خزان ماء، وخزانة ثياب، وحقيبة سفر، ولا أفهم أبدا كيف يمكن لشاعر معاصر أن يستغني عن خزانة ثيابه وحقيبة سفره.

الذاكرة لا تعني أبدا التكرار، والاجترار، واستحضار أرواح الأجداد، ولكنها جواز سفر قابل للتجديد كل سنة أو سنتين، يسمح لنا أن نقوم برحلة حول العالم.

* ثمة من يقول إن كل نقد للفن، وكل مدخل الى الشعر، يقتضي أن يبدأ

من الشكل. يبدو نصك الشعري نقيضا لهذا الافتراض؟ ألديك ما تقوله فى هذا الافتراض؟

- أنا لا أؤمن بوثنيـــة الشكل، ولا أؤمن بأن الأشكال هى قـــوالب من الأسمنت أو الجبس لا يمكن كسرها. فالإنسان هو الذي يصنع أشكاله وهو الذي يكسرها. صحيح أن الشكلانية فى النص العربي استمرت حوالي ألفي سنة، ولكن هذا لم يمنع من ظهور شعراء جربوا أن يكسروا هذه الشكلانية. ولكن التجربة لا تزال خجولة ومتواضعة، وقصيدة النثر. برغم ان عمرها تجاوز الثلاثين عاما وأكثر- لم تستطع ان تربح المعركة مع الأذن العربية.

بالنسبة لي، ما زال الشكل مركزيا عندي، وما زالت موسيقى الشعر العربي تجتاحني كما تجتاح محمود درويش، وأشك أنني سأصل فى يوم من الأيام الى كتابة قصيدة اللا شكل...

* قلت مرة، فى حديث صحفي إنك على أقلام أطفالك الملونة لترسم (وتخربش) كطفل، كأن طفولتك وكانت مختصرة، واختصار الطفولة، مرده، تحليلا، إلى قمع عائلي، أو أسى يبكر فى النضوج. غير أنك رسمت ورديا لطفولتك فى مذكراتك، وكل طفولة لها أساها. أحجب الأسى هو مكابرة منك؟

- الطبيب النفساني الذي قال لكم: إن سرقة الأقلاكم الملونة من علب ألوان أطفالي، يعني أنني فى طفولتي كنت مقموعا، هو طبيب نفسي (خرفان)، أو (تعبان).

طفولتي، من أهنأ الطفولات بين رائحة (الفانيليا) فى معمل أبي، وأشجار الياسمين التي كانت تعرؤش على أكتاف الشبابيك وأكتافنا فى بيت أمي. فلماذا تصورن على أن تخترعوا لى أسى لم أعرفه، وتلبسونني عباءة من الحزن لم ألبسها؟.

أما اللون الوردي الذي رسمته لطفولتي فى سيرتي الذاتية (قصتي مع

الشعر)، فهو لون حياتنا العائلية في دمشق. وما تعودت عندما أكتب أن أخترع ألوانا لا وجود لها، أو أكتم دمعة لم تغرغر في عيوني.

(قصتي مع الشعر) تقرير عفوي عن مسيرتي الحياتية والشعرية، وشهادة بمنتهى الصدق لم أجر عليها أي شطب، أو تجميل، أو رتوش. ومع هذا.. فاذا كان طبيبكم النفسي (الخرفان) يصر على أن أهلي ضربوني، وجوعوني، وصلبوني على شجرة الليمون، فسوف يدفعني كلامه الى الشك بأنه هو الذي تعرض للضرب، والتعذيب، فقرر ان يسقط عقده النفسية علي.

* ألا تنظر، وأنت الشائع بهذا القدر المذهل، الى شعر الآخرين باستخفاف ما؟ اتحب من لا حظ لشعرهم؟ ثم.. أ لك تبرير للشيوع ونقصانه؟

-- لا تسمح لى مناقبيتي، كشاعر وكإنسان، أن استخف بأحد. فالنجاح أو عدم النجاح. حال من صنع الشاعر ذاته.

هناك شعراء اختاروا العزلة، والانفصال عن الذوق العام، واعتبروا الجمهور كتلة من الغرائز السطحية لا تليق بخطابهم الشعري. وأنا احترم هؤلاء الشعراء، وان كنت لا اتقف معهم فى الرأي والموقف.

وهناك شعراء، وأنا واحد منهم، يؤمنون أن لا طبقية فى الخطاب الشعري، وان الشعر يجب أن يكون مطرا يسقط على جميع الناس، وقماشا شعبيا يرتديه المواطنون جميعا، وحوارا يوميا على جميع المستويات الاجتماعية والثقافية.

إنني لا أناقش زملائي الذين اختاروا هذا الخط النخبوي، الانعزالي، الاقطاعي فى الشعر، كما لا أسمح لهم بمناقشتي فى خطي الاشتراكي والشعبي. فكل شاعر فى آخر الامر يكتشف معادلته الخاصة، وليس هناك قانون شعري عام يلزم الجميع، كقانون السير، أو قانون الاحوال المدنية.

أما الشيوع فليس دائما مؤشرا على الجودة، كما يحدث بالنسبة للأغاني الشعبية الهابطة، ولكنه مؤشر على ان المبدع قد التقط اللحظة التاريخية، أو النفسية، أو السياسية، أو العاطفية المناسبة ليتحد بالوجدان العام أو بالذوق العام.

إن ظاهرة مثل ظاهرة مادونا، ومايكل جاكسون، وعبد الحليم حافظ، ولاعب الكرة مارادونا، ليست ظواهر عابرة، أو سطحية، ولكنها استفتاءات شعبية لها دلالتها ومعانيها، وتعكس، فى مرحلة ما، متطلبات العصر وحساسية الاجيال الجديدة.

* شعرك استحوذ على جيل، وسيستحوذ على أجيال، وحتى إشعار آخر، ألا تتمنى أن تمتد بك الحياة مائة عمر لتقطف هذا المجد حيا.. حيا؟

– ليس عندي طموحات (فرعونية) حتى آخذ معي طعامي، وشرابي، وأقلامي، وأوراقي، الى العالم الآخر. وليست عندي الشهية لأغني أكثر من اللازم، وأبقي على المسرح أكثر من اللازم. فالكلام له آخر، والطرب له آخر، وصوت الربابة يتحول فى آخر الليل الى صفارة قطار، وطلقات كلاشينكوف.

والنجمومية لا تعني أن يتحول النجم الى دجاجة محفوظة فى الفريزر؛ النجومية موسم كموسم العنب، فلماذا لا يعترف العنقود أنه فى يوم من الأيام سيصبح خلا؟

إنني شاعر مر فى مرحلة نبيذ (كسارة).. ونبيذ (جاناكليس)، ونبيذ (بوجوليه)، ونبيذ (بوردو)، ونبيذ (الألزاس)، ونبيذ (كيانتي)، ونبيذ (ابو كلبشه). وأنا مقتنع (بالحال النبيذية) التى وصلت إليها، كما أنني مقتنع بأن أية سكرة، تطول أكثر من اللازم، ستقتل شاربها وتقتل السامرين...

لقد لعبت دوري باتقان لمدة خمسين عاما، وأشعر أن الوقت قد حان لتسليم مفاتيح مدينة الشعر إلى شاعر آخر.

لقد عشت دائما شاعرا (مدللا)، فاسمحوا لي أن أنسحب بصمت قبل أمن أصبح (مخللا).

* جمعك التفاصيل، أعطاك وجه الفنان الدهري، الذي يستطيع أن يكون لامعا وبارعا فى كل غرض. لكن فنا مثل هذا لا يزيد وحدتك إلا عمقا، والكرنفال الذي نمر به لنصل إليك، يميل إلى أن يصبح هو كل شئ؟ هل هذه هي ضريبة الجمال؟

- ما تسمونه (كرنفالا) أسميه أنا (ديمقراطية شعرية)، أو (دستورية شعرية). أنتم تخافون الكرنفالات الشعرية الشعبية لأنها تعقدكم، وتحولكم الى (أقلية) شعرية معزولة عن الذوق العام.

ثم انني لا أشعر، وأنا فى وسط الكرنفال، أنني وحيد، أو أنني أدفع ضريبة لأحد، بل على العكس: الكرنفال هو مكافأتي.

قد نكون -نحن والاتحاد السوفياتي، من الشعوب القليلة التي تقيم للشعر كرنفالات، وهذه فى نظري ظاهرة صحية جدا، وحضارية جدا، تدل على أن فصيلة دم الإنسان العربي هى فصيلة شعرية.

* إحساسك الذكوري تجاه المرأة هو، بالضبط، إحساس الغريزة المقدسة، وتاليا، ترتبط حرية المرأة، فى توجهات شعرك، بحرية امتلاكك لجسدها، وتوظيفه فى اتجاه الغريزة. إلا أنك -كذكر، وبحكم ارث شرقي، تنزع الى (شهرياريتك) كأنما تلغها لتستتب أنت:

لم تبق زاوية بجسم جميلة إلا ومرت فوقها عرباتي فصلت من جلد النساء عباءة وبنيت أهراما من الحلمات..

فعبارتك مفاتيح، وشواهد على دعوانا: عباءة.. تفصيل.. جلد النساء. إلخ..

- الكلام بضمير المتكلم في قصيدتي (الرسم بالكلمات).. سبب لي الكثير من المشكلات والإدانات، وانضم (المثقفون) الى الجوقة، ليفتحوا على النار ويدينوني بتجارة الجواري.

القصيدة لا تقرأ بمثل هذه النظرية المباحثية، أو البوليسية. وإنما تقرأ على ضوء علم الاجتماع. وضمير المتكلم فيها، هو ضمير الجمع، أي ضمير جميع ذكور القبيلة الذين اعتبروتا جسد المرأة ورشة للقص، والتفصيل، والخياطة.

أنا، بهذه القصيدة، رفعت إلى محكمة الشعر العليا، قلت فيه إن المرأة العربية تباع وتشترى بالكيلو، ويدفع الرجل مهرها عنزتين، وبقرة، وثلاث دجاجات. لكن قضاة المحكمة العليا، وأصدقائي المثقفين، غيروا إفادتي، ووجهوا كل الأدلة ضدي.

طبعا، أنا لا أدعي العفة والرسولية، ولا أزعم أنني مواطن من السويد أو سويسرا، فأنا بدوي يدخن البايب، ويلبس السموكن، ويترك نعليه على باب مطعم ماكسيم في باريس.

على أن البدوي في داخلي، لم يبق بدويا من (الدقة القديمة)، وانما طار بدويا يقص أظافره، ويقص شعره، ويستعمل الشامبو، وبلسم يد حبيبته الجميلة، دون أن يأكل منها إصبعين.

كل هذه التفاصيل البدوية مكتوبة في شعري وفي نثري. ولأنني أتكلم بعفوية، وطفولة، ورفع كلفة، فقد أصدر وزراء الداخلية العرب مذكرة توقيف بحقي، وأخذوني الى المفخر، بتهمة (الشهريارية).

والحقيقة أنني لم أكن في يوم من الأيام شهريارا، ولا راسبوتين، ولا دراكولا، ولا إيفان الرهيب، ولم أعتد على عذرية نحلة. لكن الشعر -سامحه الله- أدخلني في مآذق وورطات لها أول، وليس لها آخر.

ثم.. لماذا قرأتم أو القصيدة، ولم تقرأوا آخرها؟.

.. واليوم، أجلس فوق سطح سفينتي

كاللصِّ، أبحثُ عن طريق نجاةِ..

أين السبايا.. أين ما ملكت يدي

أين البخورُ، يضوعُ من حُجُراتي؟

الجنسُ، كان مخدّراً جربتُهُ

لم يُنهِ أحزاني، ولا أزَمَاتي

اليوم.. تنتقم النهودُ لنفسها

وتردُّ لي الطعَنات.. بالطعَناتِ..

كلّ الدروب أمامنا مسدودةٌ

وخلاصُنا.. في (الرسم بالكلماتِ).

إني اعتبر قصيدة (الرسم بالكلمات) من أكثر قصائدي ارتفاعا وحضارة وأخلاقية. ولكن ماذا أفعل اذا كان النقد العربي يرى عباءاتي النسائية، ولا يرى عباءات أحزاني؟ .. ماذا أفعل.. اذا كنتم تريدون رأسي بأي ثمن؟..

* بين (الجميل) و (النافع) فرق كنت قد حاولت أن تعبر عنه في بداية تجربتك الشعرية؟ ولكن، مع أنك لم ترد يوما أن ترتدي وجه المنظر الجاد، نريد أن نسألك عن مدى وفائك، أو عدم وفائك للمبدأ الأول. فإذا لم يكن هذا التمييز قد غاب عنك، عبر كل أعمالك، فما هو تعبيرك عنه اليوم؟

- سأعترف لك انني انقلبت ١٨٠ درجة عن تنظيراتي الجمالية الأولى. ففي مقدمتي لمجموعتي الشعرية (طفولة نهد) سنة ١٩٤٨، كنت أعتبر ابتسامة

الجوكوندا للفنان ليونارد دافينتشي معجزة المعجزات، وبستان كرز تقطف منه العين، ولا تشبع.

بعد هذا، بأربعين سنة، لم أعد أرى فى ابتسامة الجوكوندا وردا، ولا كرزا، ولا سيما بعد أن اكتشفت النقاد والخبراء العالميون فى الرسم أن النموذج الذي نقل عنه ليوناردو دافنتشي كان رجلا له شوارب وعضلات، وان الجوكندا لم تكن فى حقيقتها غير ابو عنتر فى مسرحيات دريد لحام.

أريد من هذا الكلام أن أقول إنني لم أعد متحمسا للجميل لأنه جميل، ولكنني صرت من حزب الجمال الذي ينفع.

كنت فى بداياتي، أعتبر الكتابة نوعا من العزف على البيانو، وأمارس على لغتي رقابة موسيقية شديدة، كما كان يفعل بول فاليري، مستبعدا كل لفظة لا تدخل فى سياق (السولفيج)، وبالتالي كنت مقتنعا بأن ثمة لغة خاصة بالشعر، ولغة أخرى خاصة بالنثر، وأن كلام الشعراء شئ، وحوار المقاهي شئ آخر.

فى أواخر الستينات تخليت عن كل هذه الأفكار، وقررت أن أكسر الحدود بين لغة القاموس ولغة الناس، كما وصلت الى قناعة أن ليس هناك مفردة شعرية وأخرى غير شعرية، وان الشاعر الحقيقي يستطيع أن يحول حتى الاعلانات المبوبة الى شعر.

* ما عسى أن يكون مستقبل الشعر الذي يقوم على مشكلات اجتماعية وحضارية معينة، ثم يأتي يوم تحل فيه، ولا تعود مطروحة؟

؟أتؤمن بأن شعرك سيعيش بعدك طويلا؟ أترجو له الخلود؟

– هذه الكرة الارضية ستبقى حبلى بالمشاكل حتى يوم القيامة. فاذا حلت مشكلة اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، جاءت مشاكل أخرى. والمشاكل

الجديدة سوف يغطيها كتاب آخرون، وشعراء آخرون.

أما ماذا سيبقى منى ومن شعري بعد رحيلي، فأمر لا يستوقفني كثيرا، لأن كلمة الخلود تشبه البالونات الملونة التى يطلقها الأطفال فى الأعياد، ثم ما تلبث أن تنفجر بعد دقائق من إطلاقها.

* الجمالية التى أطلقت (لغة الحب) فى الشعر العربي أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات، لها جذور بعيدة فى القصيدة العربية الجاهلية، والأموية، والعباسية، وصولا الى المؤثرات الجمالية الغربية (البرناسية، الرمزية.. الخ)، أى أن هنالك استرجاعا لحالة -حضارية- لغوية، تفترض استجابة النص الشعري لفكرة تتنوع بين مشاعر الحزن والحب.. ولكن هل اختلفت دلالات هذه المشاعر، وهل اختلفت المرأة.. أو الحب؟

- أعتقد أن تجربة الحب التى نقلها الشعراء العرب، منذ بدايات القرن حتى الآن، كانت تجربة ثقافية، ولم تكن تجربة حياتية. فامرأة أحمد شوقى لم تختلف عن امرأة البحتري، أو ابن زيدون، وامرأة الجواهري، أو بدوي الجبل، أو الزهاوي، لم تختلف عن امرأة المتنبي أو أبي تمام؛ وامرأة سعيد عقل، والياس أبي شبكة، وصلاح لبكي، لم تختلف عن امرأة بول فاليري، أو مالارميه، أو بودلير.

وأنا اتفق معكم، أن الخطاب الغزلي العربي فى النصف الاول من هذا القرن كان حالة استرجاع لأشواق قديمة، وصبابات قديمة، وشهوات قديمة، وأن العاشق العربي موجود فى النصوص فقط، ولكنه غير موجود على فراش الهوى.

أما العاشقات العربيات، فرغم كونهن قد تعلمن، وتوظفن، وسافرن، ورجعن بأعلى الشهادات الجامعية، فلا زلن بانتظار (الخاطبة)، ولا زلن ينتظرن مكاتيب الهوى يحملها اليهن (عصفور من الرق) لتوفيق الحكيم، عن طريق النافذة، لا على طريق البريد.

وباختصار أقول، إن أكثر حالات الحب لدى شعرائنا لا تزال حالات ذهنية، افتراضية، عذرية، وأنها تجري جميعا فى أنابيب الاختبار، لا على أرض الواقع.

* أنت أكثر الشعراء العرب رواجا، وبذلك لا تعاني إلا عزلة نسبية، أو خاصة. لكن يبقى: ماذا يعني رواج الشاعر؟ ماذا تعني عزلته؟

- رواج الشاعر يعني أنه ولود، وعزلته تعني أنه عاقر.

* مجلة (شعر) التى افتتحت سجالا تستعاد أطرافه على نحو ما، كانت المقدمة الفعلية لإدخال مفاهيم جديدة إلى الشعر العربي وبرزت معها، على نحو ظاهر، (قصيدة النثر)، فأنت كشاعر رافق على مقربة حذرة بعض الشئ. كيف ترى الى هذه التيارات اليوم، وكيف ترى الى (قصيدة النثر) ؟..

- مجلة (شعر) كانت مثل هونغ كونغ، دخل إليها تجار محترمون، ودخل إليها مغامرون، ودخل إليها مهربون. وبرغم (التجاوزات) و (الزعرنة) التى حصلت، فإن (مجلة شعر) تبقى أجمل سفينة اختبار أبحرت فى حياتنا الثقافية.

ولقد سبق لي ان قلت فى حفلة تكريم يوسف الخال، فى لندن، إن يوسف كان قبطانا لسفينة، وأنه ليس مسؤولا عن سكر البحارة، وعربدتهم، وعن قناني البيرة الفارغة التى تركوها على ظهر السفينة.

كما قلت: إن يوسف الخال كان بطريرك الحداثة، وانه غير مسؤول عن القراصنة، والقرامطة، والأزارقة، الذين فتحوا ثقوبا فى خاصرة السفينة.

أما (قصيدة النثر) فهى أجمل بنت أنجبتها مجلة (شعر)، واذا كانت لم تتزوج حتى الآن، فلأن العرسان العرب لا يحبون البنات اللواتي يلبسن الجينز، ويدخن سجائر المالبورو، ويبدهن العصمة.

* فى خارطة الشعر العربي اليوم، ما الواقع الذي تراه؟ ما يكتب الشعراء؟

وما نظرتك الى النتاج الجديد؟

- أرى امرأة تصرخ على سرير الولادة، ولكن رأس الطفل لم ينزل بعد.

* اذا كان صحيحا أو واقع الشعر العربي يرتبط، بقدر ما، بواقع النقد الشعري، فما هو، فى رأيك، واقع النقد؟

- الشعر العربي يمشي فى طريق، والنقد العربي يمشي فى الاتجاه المعاكس. وليس ثمة نقطة لقاء تجمعهما..

المبدع العربي فوق.. فوق.. والناقد العربي تحت.. تحت.. ونصيحتي لكل شاعر عربي، يريد أن ينجح، أن يغسل يده من اكثر النقاد العرب، لأنهم مجموعة من الميليشيات الثقافية المرتزقة، التى تباع بدولار وتشتري بدولار.

* هل الشعر ضروري حقا؟

- اذا كانت لديكم بعض الريبة فى ضرورة الشعر، فلماذا أطلقتم على رصاص اسئلتكم الجميلة؟..

نزار قباني
جنيف ٢٨/ نيسان (ابريل) ١٩٨٨
كتب الاسئلة فى العام ١٩٨٢
سليم بركات/ محمد على شمس الدين
بسام حجار/ علوية صبح
محمد أبي سمرا.

فولكلور

أسْمَعُ بخشوعْ
موسيقى برامزْ.
وبيتهوفْن.
وشُوبانْ.
ورحمانينوفْ.
لكنَّ البدويَّ في داخلي
يظلُّ يشتاقُ إلى صوت الربَابَةْ....

أنا والفصول

لم يكُنِ الربيعُ صديقي
في يومٍ من الأيَّامْ.
ولا تحَّمسْتُ
لطَبَقات الطلاءِ الأحْمرِ، والأزْرَقْ
التي يضعُها على وجههْ..
ولا للأشجار التي تُقَلِّدُ
راقصات الـ (فولي بيرجيرْ)
الخريفُ وحدَهْ..
هو الذي يُشْبِهُني.

المبدعــون

كُلُّ المبدعينَ الكبارْ
كانوا فى حالة صدامٍ مع العَالَمْ.
من كافْكا ،
إلى فان كُوخْ،
إلى صاموئيل بيكيتْ
إلى سيلفادور دالي
إلى عُرْوة بن الوردْ
والذينَ لا يصطدمُونَ بشئْ..
لا يُبدعونَ شيئاً...

عُنـواني

ليس لي إقامةٌ دائمةْ
فى أيّ مَكَانْ..
إنَّ إقامتي الدائمةْ
هى على وَرَقة الكتابَةْ...

إسترجاع السماء

هل يكفي كلّ ما نكْتُبه من شِعْر؟
لاسترجاع سنتمترٍ واحدْ
من هذه السماء الزرقاءْ...

الأقنعـة

ليسَ عندي قصائدُ سرِيَّةْ
أحتفظُ بها فى جواريري.
إنَّ القصيدةَ التى لا أنْشرُهَا
هى زائدةٌ شعريَّةْ..
مهدَّدةٌ بالإنفجار كلَّ لحظَةْ...

عيناك وأسلحتي

١

إسْتَعملتُ مَعَكِ..
كُلَّ الأسلحةِ التقليديَّةْ
وكُلَّ الأسلحةِ المتطوِّرَةْ
من قَوْس النشَّابْ...
إلى الخِنْجَر اليَمَانيْ..
إلى الرُمْح الإفريقيْ
إلى الصاروخِ العابر للقارَّاتْ.
استعملتُ حتى أظافر
لِكَسْرِ جدار كبريائِكْ...

٢

وبعدما خسرتُ خُيُولي..
وجُنودي..
وأوسمتي..
قَعَدْتُ على مدافعي أبْكي
لأنّني اكتَشفْتْ
أنَّ جميعَ خرائطيْ قد سُرِقَتْ
وجميعَ برقيّاتي السرِّيةِ قد كُشِفَتْ
وأن أشْجَعَ رجالي
تَركُوني
والتجأوا إلى عيَنيْكِ السَوْداوينْ...

السَفَرُ المُلَحّن

يُعْجبني
ركوبُ قطارات السكّة الحديديَّةْ
إنها نوعٌ من السَفَر المُلَحَّنْ...

ليبراليَّـة

لا أسمحُ لكِ..
أن تُمارسي سُلُطاتكِ عليّْ
باسْم الحُبْ
أو باسْمِ الأمومَةْ..
أو تحتَ أيٍّ شعارٍ عاطفيٍ آخَرْ
فأنا منذُ أن خلقني اللهْ.
فى حَرْب دائمةٍ مع السُلْطَةْ...

إحبــاط

أردتُ..
أن أكونَ سفيرَ الكلمات الجميلَةْ
فَغَلَبني القُبح..
وأردتُ تشجيرَ الصحراءْ
فأكَلَني المِلْحْ...

الشمس

الشاعرُ والديكُ
مصابان بجُنُون العَظَمَةْ
فهما مقتنعانْ
أن شَمْسَ الصباحْ
تطلعُ من حنُجْرُتَيَهْما..

الديكُ يشربُ القهوة

صوتُ الديكْ
مليءٌ بالرجولَةْ..
ولذلك، فإن كُلَّ صبايا القريَةْ
يترُكْنَ فراشَهُنَّ المبلَّلَ بالأحلامْ
ليصنعنَ لهُ، قهوتَهُ الصباحيَّةْ...

إستجواب

سألني ضابطُ الحُدُودْ:
كَمْ عُمْرُكْ؟
قلتُ: خَمْسٌ وستُّونَ قصيدَةْ..
قال: يا الله.. كم أنتَ طاعنٌ فى السنْ..
قلتُ: تقصُدُ.. كم أنا طاعنٌ فى الحُريَّةْ...

حضارة الكتابة

الوَرَقَةُ البيضاءْ
جَسَدْ..
وعلى الشاعر الذي يريدُ
أن يمارسَ الحُبَّ معها..
أن يكونَ على مستواها الحضاريْ..
تحرُّش
إذا لم تستطعْ أن تكونَ مُدْهِشاً
فإيَّاكَ..
أن تتحرَّشَ بورقة الكتابَةْ...

صَيْدُ العصافير

الشاعرْ..
يتمنّى أن يكونَ عُصْفُوراً.
أمَا العُصْفُورْ
فيرفُضُ أن يكونَ شاعراً
حتىّ لا تصطادَهُ...
الأنْظِمةُ العربيّةْ..

محاكم التفتيش

لا يستطيعُ أحدُ أن يستجوبَ قصيدةْ..
ويسألَها: أين كانَتْ؟
ومعَ مَنْ كانتْ؟
وفى أيِّ ساعةٍ رجعتْ إلى البيتْ؟
القصيدةُ، هى التى تطرحُ أسئلَتها
وتَسْتَجْوبُ مُسْتَجْوِبِيها...

استراحة المحارب

فى الشعْر..
لا يوجدُ شيءٌ اسْمُهُ استِراحةُ المحاربْ
ولا يوجدُ إجازاتٌ صَيْفيّةْ
ولا إجازاتٌ مَرَضيّةْ
ولا إجازاتٌ إداريَّةْ
فإمَّا أن تكونَ متورِّطاً
حتىَّ آخرِ نقطةٍ من دَمِكْ
وإمَّا أن تخرجَ من اللُّعْبَةْ..

مشنقــة

هو شاعرٌ جماهيريْ..
إذنْ..
لابُدَّ من شَنْقِه
على أهداب مُحبِّيهْ...

حُرُوبي الجميلة

كُلّما كتبتُ قصيدةً ناجِحَةْ
بدأ القَصْفُ المدفعيْ
عليَّ.. وعلْيهَا
إنَّ أكثرَ ما يُضايقُني في الشّعْرْ
هو معاهداتُ الصلحْ..
واتفاقيّاتُ الهُدْنَة...

أعــراس

كُلُّ قَصَائدي...
تزوَّجتْ -والحمدُ للهْ-
ولم يَبْقَ عندي في البيتْ
قصيدةٌ واحدةٌ، لم يأتِ نصيبُها
لذلكَ يكرهُني.. كلُّ من لَدَيْهْ
بِنْتُ عانِسْ
أو قصيدةُ عانِسْ...

التنظيـر

لا أحَدَ يطلُبُ من الوردَةْ
أن تعقدَ مؤتمراً صحفيًّاً
تتحدَّثُ فيه عن تاريخها..
وفصيلةِ دمها..
وطَبَقِها المُفَضَّلْ..
فلماذا نطلُبُ من القصيدَةْ
أن ترتكبَ هذه الحماقَةْ؟

المتنبـيّ

تَستطيعُ بئرُ النَفْطْ...
أن تضُخَّ عشرةَ ملايين برميل يوميًّاً
ولكنَّها، لا تستطيعُ أن تَضُخَّ...
مُتَنَبِّيًا واحداً!!!.

الثقافة المفَخَخة...

كلُّ شيءٍ في حياتِنا
صارَ مُفَخَّخاً..
السَّياراتُ.. والرسائلُ.. والطرودُ البريديّةْ
حتىّ الثقافةُ العربية
صارَت مُفَخَّخَةْ...

تصحيـــح

أنا لا أعْلِنُ الحربَ
على جِنْس العَرَبْ..
وإنّما أعْلِنُها،
على عَرَبِ الجِنْسْ!!.

الطيور السويسريّة

حملتُ جرائدي العربيَّةْ
وجلستُ لأقرأها
على ضفاف بحيرة جنيفْ
فَجْأةً..
هَرَبَتْ مئاتُ الطيور، مَذْعُورَةْ
كأنَّها خافتْ على ثقافة أولادها
من عناوين جَرَائدي..
وأخبار بلادي...

ياسمين دمشق

الياسمينُ الدمشقيْ
لهُ أظافرُ بيضاءْ..
تثقبُ جدرانَ الذاكرَةْ...

أمّـي

في أيّام الصيفْ..
أذهبُ إلى حديقة النباتات في جنيفْ
لأزورَ أُمّي...
فهي تعملُ بُسْتَانيَّةً لدى الحكومة السويسريَّةْ
وتقبضُ عشرةَ فرنكاتْ
عن كّلِ وردةٍ شاميِّةْ
تزرعُها لَهُمْ...

مَسْـرَح

المرأةُ بطبيعتها
تُحِبُّ الرجُلَ الذي يتكلَّمْ دونَ توقُّفْ..
ويكذبُ دونَ توقُّفْ
لذلكَ، يخسرُ جميعُ الرجالْ
الذينَ لا يُجِدُونَ فنَّ الدراما،
والإلقاءِ المسْرَحيْ...

من يوميّات عاشق متخلف..

١

أ أنا الأبْلَهُ.. أم أنتِ البلهاءْ؟
خمسةُ أعوامٍ مرَّتْ.. وأنا أَمْسَحُ ريقي كالمَجْذوبِ
وأشْري سَمَكاً تحتَ الماءْ!!.

٢

يا سيِّدتي: أرجو فَهْمَ شُعُوري
فلقد أضْجَرني ضَجَري منكِ.. وقَرَفي من هذي لأجواءُ.
تعبَتْ أُذُني من موسيقى (الديسكُو)..
تعبَتْ عَيْني من سِرْوَال (الجينْزِ)..
ومن أكياس (الشيبس)..
ومن أمطار (الكولا) تُمطرني صيفاً وشتاءْ...

٣

يا سَيِّدتي:
إنّي رَجُلٌ لا يستوعبُ هذا العصرَ الأمْريكيَّ...
وهذا الذَوقَ الأمْريكيَّ..

وهذا الحُبَّ الأمْريكيَّ..
وهذا الضَرْبَ الأمْريكيَّ على الأعصابْ...
يا سَيِّدتي: لستُ أريدُ العودةَ عند نهاية هذا القَرْنِ
لعَصْرِ الغابْ!!.

٤

سَقَطتْ كلُّ خيام العشْقِ..
فلا مَيْسَاءَ.. ولا غَيْداءَ.. ولا عَفْراءْ..
رحمَ اللهُ زمانَ القَهوةِ.. والحِنَّاءْ...

٥

ليسَ هنالكَ ما يُدْهشُني.. أو يُسْكِرُني..
أو يُبكيني.. أو يُضحكني..
أو يُدخلني فى طور الإغْمَاءْ..
سقَطَتْ عنكِ قداساتُ الأشياءْ..
لا أندلسُ فى عينيَكِ ألوذُ بها.
ضاعَتْ منّى كلُّ مفاتيح الحمراءْ!!...

٦

هذا زمنٌ لا أعرفُهُ. لا يعرفُني.
لا أُشْبهُهُ. لا يُشْبهُني.
زمنٌ يحكمهُ (الروبُوتُ)..
فلا أحلامَ، ولا أشواقَ، ولا إحساسَ، ولا تعبيرْ..
زمنٌ صارتْ فيه القُبْلةُ وَجَعاً..
وفمُ المرأةِ لوحاً من قصديرْ!!.

٧

هذا زَمَنْ يَسْبَحُ ضدَّ الشِعْرِ..
وضدَّ الحبِّ..
وضدَّ الوردةِ، واللون الأخضَرْ..
زَمَنٌ وُضِعتْ فيه قلوبُ الناسِ
على سُفُن التصديرْ...

٨

هل معقولٌ؟
أنّي في أيّام الحبَ الأعمى

كنتُ أقشّرُ لوزاً..
كنتُ أكسّرُ جَوْزاً..
كنتُ ألْمْلمُ أصدافاً زرقاءْ
أصدافاً فارغةً زرقاءْ؟

٩

هل معقولٌ أنّي فى أيّام جُنُوني
كنتُ أقيسُ جدارَ الصينِ..
وأنْخُلُ رملاً فى الصحراءْ؟

١٠

هل معقولٌ..
أنّي كنتُ أغنّي طولَ الليل على قَدَمَيْك..
وأجلسُ فوقَ سريركِ كالبَبَغاءْ؟
هل معقولٌ..
أنّي كنتُ أحبّكِ حتى الذَبْحِ.. وحتى المْحو..
وحتّى حالاتِ الإسراءْ؟

١١

لا تَنْزعجي..
فأنا رجُلٌ لا يتذكَّرُ شيئاً..
لا يتذكَّرُ أحداً..
لا يتذكَّرُ لونَ البحر، ولا لونَ الشطْآنْ..
لا يتذكَّرُ أيَّ مكانٍ كانْ..
أيَّ زمانٍ كانْ..
لا يتذكَّرُ اسماً.. حَرْفاً.. لغةً..
مقهًى.. باراً.. وَطَناً..
لا يتذكَّرُ من عينْيكِ سوى النسيانْ...

١٢

أ أنا الأحمقُ.. أم أنتِ الحمقاءْ؟
لستُ أصدِّقُ بعد اليومْ..
أنّي كنتُ أقولُ الشعْرَ..
وكنتُ الأشْهَرَ ما بينَ السُكر!!...

لا نهرَ يرجعُ للوراءْ...

١

ما عادَ يمكنُ أن أكونَ كما أنا.
أو أن تكُوني أنتِ..
واحدةَ النساءْ..
هذا غَبَاءْ.
ما عاد يُمكنُ أن أكرِّرَ دَهْشتي..
وحَمَاسَتي..
وتَوتُّري العصبيَّ فى وَقْت اللقاءْ.
أ رأيتِ نَهْراً عادَ يوماً للوراءْ؟؟...

٢

لا تَغْضَبي منّى..
إذا حاولتُ أن أضَعَ النُقَاطَ على السُطُورْ
أنا واقعيٌّ فى مُخَاطبة النساء..
ولستُ أخلطُ بين صوت العقلِ، أو صوتِ الشعُورْ.
كلُّ الظروف تغيَّرتْ.
وتغيَّرتْ أصواتُنا.

وتغيَّرتْ كلماتُنا.

وتغيَّرتْ عاداتُنا.

وتغيَّرتْ..

حتى الوسائدُ، والمقاعدُ، والسُتُورْ..

ومكانُ أحواض الزُهُورْ...

٣

إبْريلُ لا يأتي إلينا مَرَّتَينْ..

والبَرْقُ ليس يُضيءُ للعشَّاقِ يوماً مرَّتَينْ..

والشِعْرُ لا يُتْلى على سَمْعِ الحبيبة مَرَّتَينْ..

هذى هى الدُنْيا.. وليسَ بوسعنا صُنْعُ المطْر...

فى الحُلْم.. أو تغييرُ هندسة القَمَرْ..

٤

أنا كنتُ أسكُنُ من زمانٍ

عندَ خَطِّ الإستواءْ..

كانَتْ عناويني مطرَّزَةْ

على شَفتيْكِ، سيِّدتي، وأعناق الظِبَاءْ..

واليومَ.. لا عُنْوانَ لي إلاَّ العَرَاءْ...

٥

هى حالةٌ مجنُونةٌ مرَّتْ بنا..
ببُرُوقِها، ورُعُودها.
ورياحِها، وثلوجِها.
هل يا تُرى فى وسْعنا
بعدَ اعتدال الطقْس فى أعماقِنا
تفجيرُ ألغام الجُنُونْ؟...

٦

أنا مُدْرِكٌ أنّي جرحتُك بالحوارْ.
وجرحتُ نَفْسي..
حين ألقيتُ الزجاجَ على حقول الجُلّنارْ.
أنا مُدْرِكٌ أنّي انتحرتُ بخِنْجَري
وكسرتُ مصباحَ النهارْ.
فإذا ارتكبتُ حَمَاقتي
فلأنني لا أتقنُ التمثيلَ من خلف الستَارْ..

٧

أنا خائفٌ من آلةِ التسجيلِ،
من صوتي.. ومن لُغَتي..
ومن شِعْري.. ومن نَثْري..
فما جدوى كلامي؟
وأنا أضَعْتُ الذاكرَهْ.
إنّي أحدِّقُ في الوُجُوهِ، وفي العُيُونِ،
فلا أرى أحداً أمامي.
وأنا أُحَدِّقُ في يدَيْك..
فلا أرى قُطْناً.. ولا عسلاً..
ولا ما قيلَ عن ريشِ النَعَامِ.
وأنا أُحَدِّقُ في ملاياتِ السريرِ...
فلا أرى إلا حُطَامي!!..

٨

هذا هو التاريخُ يذبحُنا..
فكيف نفرُّ من سيف العُصُورْ؟
إسْبَانيا سَقَطتْ..
فلا وردٌ، ولا آسٌ،
ولا ماءٌ يُغنّي فى نوافير القُصُورْ.
ما عاد يمكنُ أن أعيدَ قَصَائدي الأولى
وأرقُصَ فوق موسيقى البُخُورْ..
ما عادَ يمكنُ أن أعيدَ لقلبك المَسْحُوقِ..
أيّامَ الشجاعةِ، والتمرّدِ، والغُرُورْ...
فَعَقاربُ الأيّام، سيّدتي، تَدُورْ..
ومواقفي..
وعواطفي أيضاً تدُورْ!!.

٩

هذا زمانٌ ضيِّقٌ.
صارتْ به الكلماتُ تبحثُ عن فَضَاءْ.
صارتْ به حريّةُ الإنسان تبحثُ عن هَوَاءْ.
صارَ اقْتَرافُ الحُبِّ فيه جريمةً..
وتكسَّرتْ فيه النساءُ على النساءْ!!...

١٠

رحَلَ القطارُ،
ونحنُ ما زلنا على مقهى المحطّة جالسينْ..
ضاعتْ تذاكرُنا..
ولا زلنا على أرض المحطّة تائهينْ.
لصِقَتْ معاطِفنا على أجسادنا..
وتبعثرتْ مُدُنُ الحنينْ.
هل نحنُ حقاً راحلونَ مع الضُحَى..
أم نحنُ غيرُ مسافرينْ؟؟..

١١

رحَلَ القطارُ،
ولا مكانَ لنا على هذى الخريطَةْ.
لا فى الشمالِ، ولا الجنُوبْ.
لا في الصباحِ، ولا الغُرُوبْ.
رحَلَ القطارُ،
وليس يمكنُنَا الذهابُ إلى الطُفُولَةْ
وإلى بياض الياسمينْ...

١٢

ما عاد لي بيتٌ أعودُ إليهِ
فى وَطَنِ النساءْ...
أ رأيتِ نهراً عادَ يوماً للوراءْ؟؟..

قصيدة واقعية جداً...

١

عرفتُ نساءً هُنا.. ونساءً هناكْ..
ووجهاً جميلاً هُنا..
وقواماً رشيقاً هُنَاكْ..
وغنَّيتُ أحلى القصائد تحت نوافذ كُلِّ بَلَدْ..
ولكنّني لم أقُلْ مرةً
لأيَّة سيِّدةٍ جالَسَتْني.
وأيَّة عابرةٍ صافَحَتْني.
(أحِبُّكِ حتّى الأبَدْ).
فليسَ هنالكَ فى لغةِ العشْقِ..
شئٌ يُسمَّى (الأبَدْ)...
فَكُلُّ الجميلاتِ يأتينَ يوماً..
ويرْحَلْنَ يوماً..
ويبقي الوحيدُ الأحَدْ!!...

٢

أنا أكتُبُ الشعْرَ للشعْرِ..
لا للوُصُول إلى جنَّةِ المعْجَبَاتْ.
ولا أخلُطُ الشعْرَ بالعشْقِ..
والجنْسَ بالأغْنياتْ..
ولستُ أساومُ يوماً على مُقْتَنَياتي
فأقْدَسُ مُقْتَنياتي، هي الكَلماتْ...

٣

أنا قد أكونُ رقيقاً وعَذباً
ولكنّني لا أبيحُ لنفسي
ابْتزَازَ الجميلاتِ والساذَجَاتْ..
ولستُ أبيحُ لنفسي اغتيالَ اللُغَةْ..
وذبْحَ التعابير والمُفْرَداتْ.
فقلبي، إذا ما عشقتُ
يَدُقُ بصدر اللُغَاتْ...

٤

إذا كنتِ أنتِ.. مدينةَ حُبِّي
ستبقى القصيدةُ عاصمةَ الكبرياءْ...

٥

أنا قد أكونُ أحبُّكِ..
لكنّني لا أورِّطُ نفسي بتنميقِ أيِّ كلامْ..
ولا أتسلَّى برَشْوة عينيك..
عند الصباح وعند المساءْ..
أنا رَجُلٌ لا يُريقُ دمَ الياسمينْ
ولا يتعدَّى على كبرياء الرَخَامْ...

٦

أنا لا أضَيِّعُ رأسي
أمامَ كؤوس الجَمَالْ.
ولا أترنَّحُ ذاتَ اليمينِ.. وذاتَ الشَمالْ..
ولا أتورَّطُ في قول ما لا يُقَالْ..
وأعرفُ كيفَ أقيسُ المسافَةَ
بين قصائد شِعْري.. وبين سرير الوصَالْ...

٧

أنا لستُ أغرقُ، حينَ أحِبُّك،
فى شبْرِ ماءْ..
ولا أتفاصحُ. لا أتشاقَفُ.
لا أتجمَّلُ كالديك.. فى لَحَظة اللقاءْ
ولا أتَمَسْكَنُ كالذئب بين الظباءْ..
أنا لا أغشُّ بأوراق حُبِّي
ولا أستطيعُ الكتابةَ فوقَ الهواءْ..

٨

أنا لا أمثِّل دورَ العَشيقِ..
وراءَ الستارَهْ..
فحبُّكَ ليسَ مَجَازاً..
وليسَ استعارَهْ..
ولكنه حَجَرٌ..
فى أسَاسِ الحَضَارَهْ..

٩

أنا لا أقولُ بأنّي
سأطْلعُ من ناظريْكِ القَمَرْ..
ولا أدَّعي أنّني
سوفَ أُسْقِطُ من شفَتَيْكِ الثَمَرْ..
ولا أدَّعي أنَّ حُبِّي
يُغَيِّرُ مجرى الفضاءِ ومجرى القَدَرْ..
فلا تَقْلَقي من سُلُوكي الغريبْ.
أنا شاعرٌ يتسلَّى بأخْذ الصُوَرْ!!.

١٠

أنا شاعرٌ لا يزالُ على شَفَتيْهِ
حليبُ الطُفُولَةْ..
فلا تَسْمَعي ما يقولُ رجالُ القبيلة عنّي
فإنّي مُذْ كنتُ فى بطن أمّي
رَفَضْتُ قَرارَ القبيلَةْ!!.

١١

أنا لا أُثَرْثِرُ..
حينَ أكونَ بحالة عِشْقٍ كثيرا..
ولا أدَّعي أنني قد نقلتُ الجبالْ
لأجلكِ أنتِ.. وأنّي شقَقْتُ البُحُورا.
ولكنّني أكتفي بسكوتي
فتغدو أصابعُ طُيُوراً..
ويُصبحُ صمتي حريراً...

١٢

أنا قد أموتُ اشْتهَاءَ وعِشْقاً
ولكنّني لا أُقايضُ شِعْري
بطَرْفٍ كحيلٍ
وخَصْرٍ نحيلٍ
ونَهْدٍ يُخبئُ لي الطيِّباتْ..
فإنَّ القصيدةَ أجملُ سَيِّدةٍ في حياتي
فهَلْ بعد نَشْرِ اعْترافي
تُسامِحُني السيِّداتْ؟؟...

تمرينات يوميّة على الحبّ..

١

منذُ مليونِ سنةٍ قبلَ التاريخْ.
إلى مليونِ سنةٍ بعدَ التاريخْ.
وأنا أتمرّنُ على رياضة الحُبّْ...
أَسْتَنْشقُ بعمقْ..
وأزفرُ بعمقْ.
وأدلكُ جَسَدي وقصائدي
بزت البَنَفْسَجْ.
وأقفزُ من عبارةٍ إلى عبارَهْ..
ومن استعارةٍ إلى استعارَهْ..
ومن شُرْفَة نهدكِ الأيْمنْ..
إلى شُرْفَة نهدكِ الأيسَرْ..
حتّى أحتفظَ بلياقتي الجَسَديَّةْ..
ولياقتي اللغويَّةْ..

٢

منذُ أن شَمَمْتُ رائحةَ الأنوثَةْ..
وأنا أتمرّنُ على أعمال العشْق بدون توقُفْ.
كما يتمرَّنُ مُغني الأوبرا أمام المرآةْ..
والممثَلُ على قراءة النصِّ المسرحيْ.
وراقصُ الباليهْ على رَسْم خَطَواتهْ.
وقائدُ الأوركسترا على إدارة العازفيْن.

٣

لم أكُنْ أؤمنُ بالفوضَى والارتجالْ
لا في الحُبّ.. ولا في الشعرْ..
كنتُ أبحثُ دائماً
عن لغةٍ جديدةٍ تنبهرينَ بإيقاعاتِها
وعن قصيدةٍ جديدَهْ..
تنامينَ على حرير كلماتها.
وعن قُبلةٍ استثنائيةٍ
تُغَيِّرُ تاريخَ شَفَتيْكْ!!.

٤

منذ أنت كنتُ في بَطْنِ أمّي
وأنا أخطِّطُ كي تكوني حبيبتي.
ومنذ أن احترفتُ الرسْمَ بالكلماتْ
وأنا أُقاتلُ عشيرتي
حتى تسمحَ لي أن أتمشَّى معكِ قليلاً
في شارع الحَضَارهْ...

٥

في كُلِّ قصْة حُبٍ أدخلُها
أبقى ملتزماً بتقاليد الصهيلْ...
ونقاءِ السُلالاتْ..
ومُرُوءاتِ الخيل العربيَّةْ..
وأتعاملُ معكِ كما يتعاملُ الرسّامُ مع لوحتِهْ..
والموسيقيُّ مع معزوفتِهْ..
والنحّاتُ مع مَنْحُوتتهْ..
والعصفُورُ مع جدول ماءْ...

٦

لا أريدُ أن أحبَّكِ، كما اتَفَقْ..
وأبعثرَ أحاسيسي أمامَكِ، كيفما اتَفَقْ..
أريدُ أن أدَوْزِنَكِ كما أدَوْزِنُ شِعْري
وأهنْدِسَ صدركِ على طريقة العمارةِ الأندلسيَّةْ..
أو الرومانيةِ، أو البيزنطيّةِ، أو الفرعونيَّةْ..
وأجعلَ كلَّ قبّةٍ من قبابكِ..
وكلَّ قوسٍ من أقواسكِ..
وكلَّ قطعةٍ من فُسَيْفِسائكْ
وكُلَّ هَرَمٍ من أهراماتكْ..
مَعْلَماً من معالم التاريخْ!!.

هل المرأة أصلها قصيدة؟
أم القصيدة أصلها امرأة؟

١

هل المرأةُ أصْلُها قصيدَةْ؟
أم القصيدةُ أصلُها امْرأةْ؟
سؤالٌ كبيٌر ما زال يلاحِقُني
منذُ أن احْتَرَفْتُ حُبَّ المرأةِ..
وحُبَّ الشِّعرْ..
سؤالٌ.. لا أُريدُ له جواباً
لأنَ تفسيرَ الأشياء الجميلَةْ
يَقْتلُهَا...

٢

بعدما تَداخَلَتِ الحُدُودْ
بين أقاليم أنوثَتكِ..
وبين قَصَائدي..
بينَ فَضَاء عَيْنَيك..
وفَضَاءِ وَرقَة الكتابَةْ..

بين ثَقَافة عينيك..
وثَقَافة أَصَابعي...
بين كُحْلك البَدَويْ..
والحِبْر الذي أكتُبُ به شعْري.
بين اشْتعال القرنْفُل في قميص نومكْ..
ومَشَاهد يوم القيامة على شَراشفي..
أصبحتُ أتساءلْ:
هل المرأةُ أصْلُها قصيدَةْ؟
أم القصيدةُ أصْلُها امْرأةْ؟

٣

بعدَما اختلطت الأحاسيسْ
بين رائحة جَسَدكْ..
ورائحة كُتُبي...
بين اسْتدَارة السَفَرْجَلْ..
واسْتدَارة كَلماتي..
بين خيوط الذَهَب على دَشْدَاشَتكْ..
والمُنَمْنَمات المائيَّة على أوراقي..
بين مُوسيقى البحر الطويلْ..

وموسيقى قوامكِ الطويلْ..
بين النُصُوص التى تكتُبُها شَفَتاكِ..
والنُصُوصِ التى يكتُبها جُنُوني..
أصبحتُ أتساءلْ:
هلِ المرأةُ أصْلُها قصيدَةْ؟
أمِ القصيدةُ أصلُها امرأةْ؟

٤

بعدما تعانَقَتِ الجُسُورْ
بينكِ، وبين لُغتي.
وصار عَدَدُ الشَامَاتِ على ظَهْرِكْ..
أكثرَ من عدد مُفْرَداتي..
وصارتْ خواتُم الفيرُوز التى تلبسينَها
جزءاً من أبجديَّتي..
وفصيلةُ دمِكْ..
جزءاً من فصيلة دمي.
ما زلتُ أتساءلْ:
هل المرأةُ أصْلُها قصيدَةْ؟
أم القصيدةُ أصْلُها امرأةْ؟

٥

من الذي كان في البدءْ؟
أنوثتُك، أم أنُوثَةُ الكلِمَاتْ؟
هَنْدَسَةُ صَدْرِكْ..
أم هَنْدسَةُ الكاتدرائيَّاتْ؟
موسيقى خَصْرِكْ..
أم تَفَاعيلُ البحرِ الوافر؟
طَرَاوةُ يَدَيْك..
أم صُوفُ الكشميرْ؟.
أصابُعك.. أم فَنَافيتُ السُكَّرْ؟
خروجُكَ من صالة الحمَّامْ..
أم مهرجانُ الضوء والماءْ؟؟..

٦

من الذي كان في البدءْ؟
رائحتُك..
أم رائحةُ الخُبِّيزةِ في بيتنا الدمشقيْ؟
صوتُك المائيْ..

أم صوتُ النوافير فى باحات غَرَنَاطَةْ؟
نَيْسَانُ عينيْكِ..
أم نَيْسَانُ على مراوح الإسبانيَّاتْ؟
مَدَّاتُ العَتَابا..
أم مَدَّاتُ (الفلاَمنكُو)؟
مآذنُ قُرْطُبَةْ..
أم كبرياءُ عبد الرحمن الداخلْ؟؟...

٧

لا أريدُ أن أخُلَ فى تاريخ الشعرْ..
ولا أن أسمَيَكِ أميرةً للشُعَراءْ..
فأنتِ مزروعةٌ فى كل قصيدةٍ قالها شاعرْ
منذُ جميل بُثَيْنهْ..
وطَرَفةَ بن العبدْ..
وعُرْوَةَ بن الوردْ..
وكشاجَمْ..
وسُحَيمْ..
ورامبو.. ولوركا.. وبابلو نيرُودا...
وأنتِ مسؤولةٌ عن كُلِّ قصيدةٍ اقترَفْتُها..

وكُلِّ امرأةٍ عشِقْتُها..
وكُلِّ فضيحةٍ أشعلتُها..
منذُ (قالتْ ليَ السمراءُ).. حتى اليومْ..

٨

كيف أهربُ
من حليب أمُومتكِ.. يا سَيِّدتي؟
وقُبُلاتُكِ تُطرِّزُ مساحةَ جَسَدي..
وأظافرُكِ مغْرُوسةٌ
فى لَحْم دواوين شِعْري!!.

لندن ٢٠ حزيران (يونيو) ١٩٩٦

فالنتاين

١

في عيد (فَالِنْتَاينْ).
بحثتُ يا حبيبتي عن وردةٍ حمراءْ..
أرسلُها سفيرةً عني
بعد العشْقِ والعُشّاقْ.
فلم أجِدْ في السوق أيَّ وردةٍ
حمراءَ.. أو بيضاءَ.. أو صفراءْ..
لأنَّ كلَّ الورد في الأسواقْ
-كما يقولُ بائعُ الأزهارْ-
قد اشْتَرَتْهُ شُعْبَةُ المَبَاحثْ
لزوجةِ الخليفةِ الرشيدْ!!...

٢

في عيد (فالِنْتَاينْ).
أردتُ أن أرسلَ يا أميرتي
بطاقةً وردية..
أكتُبُ فيها كُلَّ ما أُريدْ..

عن ذلكَ الحُبِّ الذي يَذْبحُني
ذَبْحاً.. من الوريدِ للوريدْ...
نَخَلْتُ، يا حبيبتي، شوارعَ المدينَةْ..
مكتبةً.. مكتبةً..
واجهةً.. واجهةً..
زاويةً.. زاويةً..
لكنني فشلتُ فى مُهمّتي.
لأنّهم فى شُعْبَة المَباحِثْ..
- كما روى موظفٌ فى المكتبَةْ-
قد صادروا كلَّ البطاقاتِ التى تُباعُ فى المدينَةْ..
وأرْسَلُوها كُلّها لزوجة الخليفةِ الرشيدْ!!.

٣

فى عيد (فالِنْتَاينْ).
حاولتُ أن أكتبَ عن عينيْكِ، يا حبيبتي
قصيدةً جديدةْ
ما كُتبتْ يوماً بتاريخ الأدَبْ.
حُرُوفُها من الذَهَبْ.
زُنَّارُها من الذَهَبْ.

سِرْوالُها من الذَهَبْ.
وعندما فرغْتُ من كتابتي
جاء رجالٌ من لدى (أبى لَهَبْ)!!
فاعْتَقَلُوا القصيدَةْ..
وأغْلَقُوا بالشَمْع والرَصاصِ..
عُلْبةَ البريدْ...

٤

فى عيد (فالنْتَاينْ).
لا هاتفٌ يرنُّ فى بلادنا.
لا طائرٌ يطيرُ فى سمائنا.
لا قَمَرٌ..
يُرَشْرِشُ الحليبَ والثلجَ على ثيابِنا..
لا كلِمةٌ جميلةٌ..
تُغَيِّرُ العاديَّ من كلامِنَا..
لا امرأةٌ..
تُذَوِّبُ الصقيعَ فى أيّامنا..
لا رُزْمةٌ تُحرِّكُ الفُضُولَ فى أعماقِنا
يحملُها موزِّعُ البريدْ...

٥

في عيد (فالنْتَاينْ).
فكّرتُ أن أستعملَ الفُرْشَاةَ والألوانْ.
في وصْفِ ما أحِسُّهُ..
فكّرتُ في رينوارَ. في ماتيسَ. في سيزَانْ..
فكّرتُ أن أفعلَ ما يفعلُهُ نَيْسانْ..
وألْحَسَ القِشْطةَ عن رافعة النهدينْ...
كما شفاهُ الموجِ تلْحَسُ الشُطآنْ!!

٦

في عيد (فالنْتَاينْ).
فكَّرتُ في إسبانيا.
وحُزننَا المخْزُونِ حتى الآنْ..
في أعيُنِ الإسْبَانْ!!.

٧

في عيد (فالِنْتَاينْ).
فكّرتُ في مدائن الحُبِّ التي أعرفُها.
فكّرتُ في (فينسْيَا).
الجَسَدِ المغسُولِ بالماء، وبالحبّ، وبالأحلامْ.
فكّرتُ في (فلورَنْسَا).
تلكَ التي قرأتُ في ساحاتِها
قصائدَ الرخَامْ..
فكّرتُ في باريسَ..
في تاريخنا المكتوب بـ (البَاغيتِ)..
والجُبْنَةِ.. والنبيذِ.. والأمطارْ...
فكّرتُ في (إلْزَا).. وفي عُيُونها..
فكّرتُ في (رامبُو).. وفي (إيلْوارْ)..
كم يستطيعُ الحبُّ في باريسَ
أن يُغيّرَ الأقدارْ!!.

٨

في عيد (فالنْتَاينْ).
حينَ تناميَن على سُجَّادةِ الكاشانْ.
مليسةً كقطعة الكَشْميرْ..
معجونةً بالمِسْكِ.. والقِرْفَة.. والحريرْ..
طازجةً كحُزْمةِ الريحانْ..
أعيدُ أقوالَ أبي:
(أن ليسَ بالإمكانْ.. أبدعُ ممّا كانْ..)

٩

في عيد (فالنْتَاينْ).
يُمكنُني بقُبْلةٍ واحدةٍ
أن ألبسَ التاريخَ في أصابعي..
وأمْحُوَ الزمانَ.. والمكانْ...

١٠

فى عيد (فالنْتَاينْ).
أواصِلُ التنقيبَ فى يَدَيْكِ..
عن حضارة الإغريقِ.. والرومانْ..
أواصلُ التنقيبَ فى نَهْدَيْكِ
عن قصيدةٍ مجهولةٍ..
وحَبَّتَيْ زمَانْ..
أواصلُ العَزْفَ على خَصْرِكِ..
حتّى تتعبَ الكَمَانْ...

١١

فى عيد (فالنْتَاينْ).
يبدو خيارُ العطر غيرَ مُقْنِعِ
مَنْ ينقُلُ الماءَ إلى بحيرةٍ؟
من يحملُ الوردَ إلى بُسْتانْ؟..

١٢

يا قَمَري. يا قَمَرَ الزمَانْ:
سوف أظلُّ مُبْحراً كعُقْبَة بن نافعٍ
حتى أرى إفْرِيقيا.. وأعرفَ الإحساسَ بالأمانْ..
سوفَ أظلُّ عاشقاً.. حتى أرى سفينتي
راسيةً في مدخل الشرْيَانْ...

١٣

في عيد (فالنْتَاينْ).
سوف أظلُّ مخلصاً لِمهْنَةِ الحُبّ التي أُجيدُها
ومِهْنَةِ الرقْصِ على ألسنةِ النيرانْ..
فليس عندي مهنةٌ أخرى سوى
خَرْمشَةِ النُصُوص..
أو خَرْمشَةِ السَمَاء..
أو خَرْمشَةِ المحيطات...

١٤

فى عيد (فالنْتَاينْ).. أشعرُ بالإحْبَاطِ، يا سَيِّدتي.
أشعر أنني رجُلٌ مُتْسَلَبٌ.. مُنْسَحِقٌ.. وحيدْ..
ففى بلادٍ أصبحَ الحبُّ بها مُحَاصَراً بالنار والحديدْ..
وفى بلادٍ أصبح القلبُ بها لوحاً من الزجاج
والجليدْ..
وفى بلادٍ أصبح الشِعرُ بها..
يحترفُ التزويرَ.. والتبخيرَ.. والتمجيدْ..
يعاقبُ الإعلامُ كلَّ شاعرٍ يبقى على عَفَافِهِ..
إذا تَعرَّتْ زوجةُ العزيزْ!!..

١٥

فى عيد (فالنْتَاينْ).
يدورُ فى رأسي سؤالٌ ساخرٌ:
هل صارت السيِّدةُ الأولى التى تحكُمُنا
خاتمةَ النشيدْ؟؟
ما أسْخَفَ الشِعْرَ الذى نضطرُّ أن نكتُبَهُ
تغزُّلاً بامرأةِ الرشيدْ!!...

سبتمبر

الشعْرُ يأتي دائماً.. مع المطَرْ.
ووجهُكِ الجميلُ يأتي دائماً.. مع المطَرْ.
والحبُّ لا يبدأ إلاّ عندما
تبدأ مُوسيقى المطَرْ..

* * *

إذا أتى أيلولُ، يا حبيبتي
أسألُ عن عَينيْكِ كلَّ غَيْمةٍ
كأنَّ حُبّي لكِ مربُوطٌ بتوقيتِ المطَرْ...

* * *

مشاهدُ الخريفِ تسْتَفزُّني
شحوبُكِ الجميلُ يسْتَفزُّني
والشفةُ المشقُوقةُ الزرقاءُ.. تَسْتَفزُّني.
والحَلَقُ الفضيُّ فى الأذنَين.. يَسْتَفزُّني.
وكَنْزَةُ الكشْمير..
والمِظلَّةُ الصفراءُ والخضراءُ.. تَسْتَفزُّني.

جريدةُ الصباحِ..
مثلَ امرأةٍ كثيرةِ الكلامِ.. تَسْتَفِزُّني.
رائحةُ القهوةِ فوق الورقِ اليابسِ..
تَسْتَفِزُّني.. فما الذي أفعلهُ؟
بين اشتعالِ البَرْق فى أصابعي..

* * *

وبين أقوال المسيحِ المُنْتَظَرْ؟
ينتابُني فى أوّلِ الخريفِ
إحساسٌ غريبٌ بالأمانِ والخَطَرْ..
أخافُ أن تقتربي.. أخافُ أن تبتعدي..
أخشى على حَضَارةِ الرخَام من أظافري..
أخشى على مُنَمْنَماتِ الصَدَفِ الشاميِّ من مشاعري.
أخافُ أن يجرفَني موجُ القضاءِ والقَدَرْ...
هل شهرُ أيلولَ الذي يكتُبُني؟
أم أنَّ من يكتُبُني
هُوَ المطرْ؟؟

* * *

أنتَ جنونٌ شَتَويٌ نادرٌ..
يا ليتني أعرفُ يا سَيِّدتي
علاقةَ الجُنُونِ.. بالمَطَرْ!!

* * *

سَيِّدتي
التي تمرُّ كالدهْشَةِ في أرض البَشَرْ..
حاملةً في يدها قصيدةً..
وفي اليد الأخرى قَمَرْ...

* * *

يا امرأةً أحبُّها..
تُفَجِّرُ الشعرَ إذا داستْ على أيِّ حَجَرْ..
يا امرأةً تحملُ في شُحُوبها
جميعَ أحزان الشَجَرْ..
ما أجملَ المَنْفَى إذا كُنَّا معاً..
يا امرأةً تُوجزُ تاريخي..
وتاريخَ المَطَرْ!!.

لندن ١ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٦

إنَّهُمْ يخطفونَ اللغة..
إنَّهُم يخطفونَ القصيدة..

١

في زَمَن اللا كتابَةْ..
لا أدري ماذا أكتبُ إليك؟
وفي زَمَن اللا حوارْ..
لا أعرفُ كيف أحاورُ يديْك الجميلتَيْنَ.
وفي زَمَن الحُبّ البلاستيكيْ
لا أجِدُ في كُلِّ لغات الدنيا
جُمْلةً مُفيدَةْ
أزيّنُ بها شَعْرَك الطريْ..
كصُوف الكشْميرْ...
فالأشجارُ ترتدي الملابسَ المُرقَّطَةْ
والقَمَرْ..
يلبسُ خُوذَتَهُ المعدنيَّةَ كلَّ ليلَةْ
ويقوم بدَوْرِيَّةِ الحراسَةْ
خلفَ شبابيكنا..

٢

العالمُ يا حبيبتي
مخفرُ بوليسٍ كبيرْ
وعلينا أن نقفَ فى الطأبور كلَّ يومْ
لكي نُثْبتَ:
أنَّنا لا نقربُ النسَاءْ..
ولا نتعاطى إلاَّ العَلَفَ والماءْ..
ولا نعرفُ شيئاً عن زُرْقَة البحرْ
وتُوركواز السَمَاءْ.
وأنّنا لا نقرأُ الكُتُبَ المقدَّسَةْ
وليس فى بيوتنا
مكتبةٌ.. ولا دفاترُ.. ولا أقلامُ رصاصْ

٣

في هذا الزمَنْ
الذي يُقَايِضُ الوردةَ.. بساعة (سايكو)
وقصيدةَ الشعْرِ.. بحذاءْ.
في هذا الزمن المُدَجَّجِ بموسيقى الجازْ
وسراويل الجينْز..
وشيكات (الأميركان إكسبرسْ).
في هذا الزمن الذي يعتبر سيلفستر ستالوني
أعظمَ من الإسكندر المقدُوني..
ويصبحُ فيه مايكل جاكسُونْ
أكثَر شعبيةً من السيِّد المسيحْ..
أشعرُ بحاجةٍ للبكاء على كَتِفَيْكِ
قبل أن يفترسَنا عصرُ الفورمايكا
وعصرُ تأجير الأرحامْ..
أشعرُ بحاجةٍ، يا حبيبتي،
لقراءة آخِرِ قصةِ حُبٍّ، كتبتُها
قبلَ أن تُصبحي آخرَ النساءْ..
وأصبحَ أنا..
آخرَ حَيوانٍ يقرضُ الشعْرِ...

٤

فى زمن الميليشيات المثقَّفَةْ..
والكتابات المُفَخَّخَةْ..
والنقد المسلَّحْ..
فى زمن الأيديولوجياتِ الكاتمةِ للصوتْ
والمذاهب الكاتمةِ للصوتْ
والفتاوى الكاتمةِ للصوتْ
فى زَمَنِ خَطْفِ القصيدةِ..
بسبب نوثتها..
وخَطْفِ المرأةِ
بسبب شمُوُخ عينيها
وخَطْفِ اللّغَةْ
بسبب أسفارها الكثيرةِ إلى أوربا
وخطفِ الشاعرْ..
بسبب عَلاقاتِهِ المشبُوهَةْ
مع رامبو.. وفيرلينْ.. وبول ايلور.. ورينه شارْ
وغيرهم من الشعراء الصليبيّينْ
فى زمن المسدّس الذي لا يقرأ.. ولا يكتُبْ..

أقرأ في كتاب عينيْكِ السوداويَنْ
كما يقرأ المعتقلُ السياسيْ
كتاباً ممنوعاً عن الحريّةْ..
وكما يفرح المسجونْ
بُعلْبَةِ سجائرٍ مُهرَّبةْ...

٥

في زمن هذا الإيدْز الثقافيْ
الذي أكل نصفَ أصابعنا.. ونصفَ دفاترنا..
ونصفَ ضمائرنا..
في زمن التلّوث الذي لم يترك لنا غصناً أخضَرْ
ولا حرفاً أخْضَرْ..
في زمن الكَتَبَةِ الخارجينَ من رَحِمِ النَفْطْ
والصحافةِ التي فقدتْ بكارتَها مليونَ مَرَّةْ..
والبقيّةُ تأتي...
في زَمَنٍ..
صارَ فيه (وُولْ سْتريتْ)
أهَمَّ من سُوق عُكاظْ
وسلطانُ بروناي

أهمَّ من أبي الطيب المُتنبِّي..
ألتجئُ إلى ذراعيك المفْتُوحتينْ
كما تلتجئُ الحمامةُ إلى بُرْج كاتدرائيَّةْ
وكما تتخبَّأُ غَزَالَةٌ بين القَصَبْ
من بواريد الصيَّادينْ...

٦

في عصر أدبِ الأنابيبْ..
والأدباءِ.. الذي تُربِّيهُمُ السلطةُ في الأنابيبْ..
في زَمَن صار فيه الغَزَلُ بالكومبيوترْ..
واللُّواطُ الفكريّ بالكومبيوترْ..
وهزُّ الأرداف.. بالكومبيوترْ..
في هذا الزمن الذي تساوت فيه تسعيرةُ الكاتبْ
وتسعيرَةُ المومسْ...
أحاولُ أن أهربَ إلى مرافئ عينيْكِ..
حيثُ السباحةُ لا تزالُ ممكنَةْ..
وكتابةُ الشعر.. لا تزالُ ممكنَةْ...

في النرجسيَّة

١

هو شاعرٌ نَرْجِسِيٌّ
لأنَّهُ يتمرَّى بماء قصيدتِهْ.
ويمشي وحيداً، على ضفاف لُغَتِهْ.
ويصنَعُ فنجاناً من القهوَةْ
يقدّمُهُ لنَفْسِهْ...
ويُهْدِي نَفْسَهُ وردةً واحدةً.. كُلَّ يومْ
إذا لم يَجِدْ من تُهْدِيه وُرُوداً..

٢

هُوَ شاعرٌ نَرْجِسِيٌّ
ينامُ على ذراع كلماتِهْ
إذا لم يجدْ ذراعَ امرأةٍ
ينامُ عليها..

٣

النَرْجِسيَّةْ..
هيَ أن يؤمِنَ الشاعرْ
بأنَّ قصيدَتَهْ
هي نُقْطَةُ ارتكاز الكُرَة الأرضيَّةْ...

٤

الشاعرُ النَرْجِسيْ
يتصوَّرْ..
أنَّهُ هو الذي يعيِّنْ المُلوكْ...
وهْوَ الذي يُقيلُهُمْ..
وهذا الوهْمُ الجميلْ
هو الذي قَتَل شاعراً كبيراً،
كالمُتَنَبِّي..

البدْعَـة

١

البِدْعَةْ..
هى أن تنفُضَ عنكَ
غُبَارَكَ الصحراويْ
وتأخذَ دُوشاً..
صباحَ كُلِّ يَومْ.

٢

البِدْعَةْ..
هى أن تَخْرُجَ من بطن آلة التسجيلْ
وترتجلَ نَصَّكْ...

٣

البدعةُ عند العَرَبْ
معناها..
أن تهرُبَ من المقبرة الجَمَاعيَّةْ
وتسكُنَ فى فيللا على البَحرْ...

٤

البدْعةْ..
هي أن تخرجَ من علبة السَرْدِينْ
التي انتهتْ مُدَّةُ استعمالِها
وترمي نفْسَكَ
كالسَمَكة في البَحْرْ

٥

البِدعةْ
هي أن تخلع قُنْبَازَكَ..
وقُبْقَابَكَ...
وطَرْبُوشَكَ العثمانيْ
وتصهلَ كحصانٍ
في بَرَاري الحُرِيَّةْ..

الغابة السوداء

عَيْنَاك..
مَجْهُولانِ نائمانِ فى عباءة المَجْهُولْ.
وغابةٌ مُقْفَلَةٌ..
لا أحدٌ يعرفُ ما يحدثُ فى داخِلها،

* * *

فبعضُهُمْ،
يقولُ فيها أمَمُ مَنْسيَّةٌ
وبعضُهُمْ،
يقولُ فيها أعماقِها، جِنِّيَةٌ
وبعضُهُمْ، يقولُ فيها غُولْ...
لا أحَدٌ..
يعرفُ ما يحدثُ فى الغابة من عجائبٍ
لا أحدٌ يجرؤُ أن يَقُولْ.
فالليلُ فيها ضائعٌ
والذئبُ فيها جائعٌ
والرَجُلُ الأبيضُ، فوقَ رُمْحِه، مَقْتُولْ...

طمُــوح

أنتِ.. لستِ امرأةً عاديَّةً
تملكُ الفتْنَةَ، والقَدَّ المليحا
إنَّكِ الأصْلُ الذي أنْقُلُ عنهُ،
والذي فَجَّرني شعراً، ورُوحَا
أنتِ أعلى قِمّةٍ في رحلتي
ليسَ من طَبْعيَ أن أهوى السُفُوحا
فأحبيِّني كثيراً.. أو قليلاً..
كي تَزيديني ارتفاعاً وطُمُوحَا
أنتِ.. لا تدرينَ، يا سَيِّدتي
كم يكونُ الكونُ، لولاكِ، قبيحا
ما تعوَّدْتُ بأنْ أرفُضَ مَوْتي

وصايا إلى امرأة عاقلة...

١

أوصيكِ بجُنُوني خيراً..
فهو الذي يغسلكِ
بالماء.. والعُشْبِ.. والأزهارْ
ويومَ أرْفَعُ عنكِ يَدَ جُنُوني
ستتحوَّلينَ،
إلى امرأةٍ من خَشَبْ...

٢

أوصيكِ بجُنُونى خيراً..
فطالما أنا عُصَابيٌّ..
ومكتئبٌ..
ومُتَوَتِّرُ الأعصابْ
فأنتِ جميلةٌ جداً...
وصغيرةٌ جداً..
وحين تزولُ أعراضُ جُنُوني
ستدخُلِينَ فى الشَيْخُوخَةْ...

٣

أوصيكِ بجُنوني خيراً..
فهو رصيدُكِ الجَمَاليّ
وثروتُكِ الكُبرى
ويومَ أسحبُ منكِ
كفالةَ جُنُوني..
ستُشْهِرُونَ إفْلاَسَكِ..

٤

أوصيكِ بجُنُوني خيراً..
فهو التاجُ الذي به تحكمينَ العالَم
ويومَ تغيبُ شمسُ جُنُوني
سيسقُطُ تاجُكِ
ويُجرِّدك الشعبُ من جميع سُلُطَاتِكْ...

المعطـف

عندما تقرّرينَ
أن تَذْهَبي مع رجُلٍ آخَرْ
لا تنسَيْ أن تأخذي معكِ
معْطَفَ المطرْ..
فالجوُّ مُتَقَلِّبْ...
والرياحُ باردَةْ..
وأخشى، أن ينسى صديقُكِ الجديدْ
أن يضَعَكِ فى جيب معطفِهِ..
كما كنتُ أفْعَلْ...

صُنعَ في طوكيو..

أيا امرأةً..
من زُجَاجٍ وقُطْنٍ..
سأرمي بنفسي من الطابقِ المِئتَيْنِ
اكْتئاباً.. وغُرْبَةْ
فماذا سأفْعَلُ فيك؟
أيا امرأةً وَضَعُوها بُعلْبَةْ..

صحيحٌ.. بأنَّ ثيابَكِ أثوابُ لُعْبَةْ..

وَمَكْياجَ وجْهكِ.. مكْيَاجُ لُعْبَةْ..
ولكنني لستُ أخلُطُ
بين أمُور الفِراشِ..
وبين أمُور المَحَبَّةْ.
أيا امرأةً..
وصَلَتْني بكيسِ البريدِ..
أحاولُ تحريضَ عقلكِ..
من دون جَدْوَى،
وكيفَ أحاولُ تثقيفَ لُعْبَهْ؟؟

أيا امرأةً..
صَنَعُوهَا بطُوكْيُو
لأعْرِفُ أنَّكِ وَحْشٌ جميلٌ..
وكَنْزٌ جميلٌ..
وصَيْدٌ جميلٌ..
ولكنَّني لا أحِسُّ بأيَّة رغْبَةْ...

* * *

أنا آسفٌ..
إن جرحتُ شعُورَكِ
لكنّني...
لا أحِسُّ بأيَّةِ رغْبَةْ..
فَعُودي إلى عُلْبة المُخْمَل القُرْمُزِيِّ
فإنَّ شرُوطيَ فى الحُبِّ صَعْبَةْ...

الشَعْرُ الأسود

لا تُمَشِّطي شَعْرَكِ
على مقربةٍ منّي...
حتَّى لا يُهَرْهِرَ الليلُ
على ثيابي...

التوقيـــع

هذا العطرُ..
الذي تضعينَهُ على جَسَدِكْ
هو مُوسيقى سائِلَهْ
وهو توقيعُكِ الخُصُوصيّْ
الذي لا يمكنُ تقليدُهْ...

البــرق

لَنْ أقولَ لكِ
(أحبُّكِ)..
إلاَّ مرةً واحدةْ
لأنَّ البَرْقَ لا يُكَرِّرُ نَفْسَهْ...

عنـدمـا

عندما ترفعينَ يَدكِ
عن دَفَاتِري...
أصبحُ قصيدةً من الخَشَبْ...

الليــل

لم يبق فى شوارعِ اللّيلْ
مكانُ أتجوَّلُ فيْه..
أخَذَتْ عَيْناك..
كُلَّ مساحة الليلْ..

بريــد

مِنِّى رسالةُ حُبّْ
ومنكِ رسالةُ حُبّْ
ويتشكّلُ الربيعْ

بدون تنقيط

(أحبُّكِ)
ولا أضعُ نقطةً فى آخِرِ السَطْرْ

لغــة

عطرُ الوردة..
هو لُغَتُها..
لذلكَ، لا تضطرُّ الوردَةُ
إلى استعمال القَامُوسْ...

سـؤال

لا تسأليني: كيفَ حَالي؟
إذا كُنْتِ تُحِبِّيْنَني حقّاً...
إسْألي:
كيفَ حالُ أصابعي؟

صـمت

هل تسمعيَن أشواقي
عندما أكونُ صامتاً؟
إنَّ الصمتَ، يا سَيِّدتي،
هو أقوى أسلحتي...

رائحـــة

الشجرةُ تفقدُ أوراقَها
والشفةُ تفقدُ استدارتَها
والأنوثةُ تفقد أنوثَتَها...
إلاّ رائحتَكِ..
فَهْيَ ترفُضُ أن تمرَّ
من ثُقُوب الذاكرَةْ...

رقمٌ قياسيّ

أنتِ أوّلُ لُعْبَةٍ
قاوَمَتْ بينَ يديْ
أكثرَ من أربع وعشرينَ ساعَةْ...

ديانـــة

حين يقولُ،
العاشقُ لمعشوقتهِ
(إنّني أعبُدُكِ)
فإنّهُ يؤكّدُ -دونَ أن يدري-
أنَّ الحبَّ ديَانةٌ ثانيَهْ...

سَـــمَك

لا أُريدُ..
أن أحتفظَ بكِ في ذاكرتي
كسَمَكةٍ مُجَلَّدَةْ...
أريدُكِ أن تكُوني
مُشْتَعلةً بالأسئلَةْ..
ودائمةَ التحوّلاتِ، كالبحرْ...

عن المقاهي...

مقاهي العالم
هى الأكاديميَّاتُ التى يتخرَّجُ منها العُشَّاقْ
وحينَ تُقْفِلُ هذه الأكاديميَّات أبوابَها
تنتهي ثقافةُ الحُبْ...

ثقافــة

لأنَّني أحِبُّك..
أريدُ أن تكُوني
الحرفَ التاسعَ والعشرينْ
من أبْجَديَّتي..

الشقيقتان

تجلِسُ المرأةُ، على رُكْبة القصيدَةْ
لالتقاط صُورةٍ تذكاريَّةْ
فيحسبُهُما المصورّ الفُتوتُوغْرافيْ
شَقِيقتينْ...

أحبُّكِ..
حتى ترتفعَ السماءُ قليلاً..

١

أريدُ أن أُحبَّكِ، يا سيِّدتي
كي أستعيدَ عافيتي
وعافية كلماتي.
وأخْرُجَ من حزام التلوُّثِ
الذي يلفُّ قلبي.
فالأرضُ بدونكِ
كذبة كبيرَةْ..
وتُفَّاحَةٌ فاسِدَةْ...

٢

أريدُ أن أُحبَّكِ
حتى أدْخُلَ فى دين الياسمينْ
وأمارسَ طُقُوسَ البَنَفْسَجْ
وأدافعَ عن حضارة الشِعْر...
وزُرقَةِ البَحرْ...
واخْضِرارِ الغاباتْ...

٣

أريدُ أن أحبَّكِ
حتَّى أطمئنَّ...
أن غاباتِ النخيل في عَيْنَيْكِ
لا تزالُ بخيرْ..
وأعشاشَ العصافير بين نَهْدَيْكِ
لا تزالُ بخيرْ..
وأسماكَ الشعْرِ التي تسْبَحُ في دَمي
لا تزالُ بخيرْ...

٤

أريدُ أن أحِبَّكِ..
حتى أتخلَّصَ من يَبَاسي..
ومُلُوحتي..
وتَكَلُّسِ أصابعي..
وأستعيدَ جداولي،
وسَنَابلي،
وفَرَاشاتي الملوَّنَةْ

وأتأكَّد من قُدْرتي على الغناءْ
وقُدْرتي على البُكَاءْ...

٥

أريدُ أن أُحبَّكِ
حتّى أَسْتَرْجَع تفاصيلَ بيتنا الدِمَشْقيْ
غُرْفة... غرفة...
بلاطةً... بلاطةْ...
حمامةً.. حمامَةْ..
وأتكلَّمَ مع خمسينَ صَفِيحَةَ فُلْ
كانَتْ أمّي تستعرضُها كُلَّ صباحْ
كما يستعرضُ الصائغُ
ليْرَاتِه الذهبيَّةْ...

٦

أريدُ أن أحِبَّكِ، يا سيِّدتي
في زَمَن..
أصبحَ فيه الحبُّ مُعَاقاً..
واللّغَةُ معاقَةْ..

وكُتُبُ الشعرِ، مُعَاقاً..
فلا الأشجارُ قادرةٌ على الوقوف على قَدَميْهَا.
ولا العصافيرُ قادرةٌ على استعمال أجْنِحَتَهَا.
ولا النجومُ قادرةٌ على التنقُّلْ
بدون تأشيرات دُخُولْ...

٧

أريدُ أن أُحبَّكِ..
قبلَ أن يَنْقَرِضَ آخِرُ غَزَالٍ
من غُزْلان الحريَّةْ..
وآخِرُ رسالةٍ
من رسائل المُحبّينْ
وتُشْنَقَ آخرُ قصيدةٍ
مكتوبةٍ باللغة العربيَّةْ...

٨

أريدُ أن أحبَّكِ..
قبل أن يصدرَ مرسومٌ فَاشِسْتيٌّ
بإقفال حدائق الحُبّْ..
وأريدُ أن أتناولَ فنجاناً من القهوةِ معكِ..
قبل أن يصادروا البُنَّ.. والفَناجينْ
وأريدُ أن أجلسَ معكِ.. لدَقيقَتينْ
قبل أن تسحبَ الشرطةُ السريّةُ من تحتنا الكراسي..
وأريدُ أن أعانقَكِ..
قبلَ أن يُلْقُوا القَبْضَ على فَمي.. وذراعيْ
وأريدُ أن أبكيَ بين يَدَيْكِ
قَبْلَ أن يفرضُوا ضريبةً جمركيَّةً
على دُمُوعي...

٩

أريدُ أن أُحبَّك، يا سيِّدتي
حتَّى أمتطيَ عَرَبَةَ الوقتْ
وأغَيِّرَ التقاويمْ
وأعيدَ تسميةَ الشُهُور والأيَّامْ
وأضبطَ سَاعَاتِ العالم..
على إيقاع خطواتِكْ
ورائحةِ عطرِك..
التي تدخُلُ إلى المقهى..
قبلَ دُخُولكْ...

١٠

إني أحبّكِ، يا سيِّدتي
دفاعاً عن حقِّ الفَرَسِ..
في أن تصهلَ كما تشاءْ..
وحقَ المرأةِ.. في أن تختار فارسَها
كما تشاءْ..
وحقِّ السَمَكة.. في أن تسبحَ كما تشاءْ

وحق الشَجَرةِ فى أن تغيِّرَ أوراقَها
كما تشاءْ..
وحقِّ الشعوب فى أن تغيِّر حُكَّامَها
متى تشاءْ...

١١

أريدُ أن أحبَّك..
حتى أعيدَ إلى بيروتَ، رأسَها المقطوعْ
وإلى بَحْرِها، معطفَهْ الأزرقْ
وإلى شعرائِهَا.. دفاتَرهُمْ المُحْتَرِقَةْ
أريدُ أن أعيدَ
لتشايكوفسكي.. بَجَعتَهُ البيضاءْ
ولبول ايلوار.. مفاتيحَ باريسْ
ولفان كوخ.. زهرةَ (دوّار الشمسْ)
ولأراغون.. (عيونَ إلزا)
ولقيسِ بن المُلَوحْ..
أمشاطَ ليلى العامريَّةْ...

١٢

أريدُكِ، أن تكوني حبيبتي
حتّى تنتصرَ القصيدَةْ...
على المسدَّسِ الكاتمِ للصوتْ..
وينتصرَ التلاميذْ
على الغازات المُسيلَةِ للدموعْ
وتنتصرَ الوردةْ..
على هَرَاوةِ رَجُل البوليسْ
وتنتصرَ المكتباتْ..
على مصانع الأسلحَةْ...

١٣

أريدُ أن أُحبَّكِ..
حتى أستعيدَ الأشياءَ التى تُشْبِهُني
والأشجارَ التى كانَتْ تتبعَني..
والقططَ الشاميّةْ التى كانت تُخَرْمِشُني
والكتاباتِ.. التى كانَتْ تكْتُبني..
أريدُ.. أن أفتحَ كُلَّ الجواريرْ
التى كانتْ أمّي تُخَبِّئُ فيها

خاتمَ زواجِها..
وأساورَها الذهبيّةَ المبْرومَةْ..
ومسْبَحَتها الحجازيَّةْ..
وخُصْلةً من شَعْري الذهبيْ..
بقيت تحتفظُ بها..
منذُ يوم ولادتي..

١٤

كلُّ شيءٍ يا سيِّدتي
دَخَلَ في (الكُومَا)
فالأقمارُ الصناعيّةْ
إنتصرتْ على قَمَر الشُعَرَاءْ
والحاسباتُ الالكترونيَّةْ
تفوَّقتْ على نشيد الإنشادْ..
وقصائدِ لوركا.. ومايَاكوفسكي..
وبابلو نيرُودا...

١٥

أريدُ أن أُحبَّكِ، يا سيِّدتي...
قبل أن يُصْبِحَ قلبي..
قِطْعَةَ غبار تُبَاعُ في الصيدليّاتْ
فأطبَّاءُ القُلُوبَ في (كليفلاندْ)
يصنعونَ القلوبَ بالجُمْلَهْ
كما تُصْنَعُ الأحذيَةْ...

١٦

السماءُ يا سيِّدتي، أصبحتْ واطئَةْ..
والغيومُ العالية..
أصبحَتْ تَتَسَكَّعُ على الأسْفَلتْ..
وجمهوريةُ أفلاطُونْ.
وشريعةُ حَمُّورابي.
وكلامُ الشعراءْ.
صارت دون مستوى سَطْح البحرْ
لذلكَ نَصَحني السَحَرةُ، والمُنجَمُونَ،
أن أحِبَّك.
حتّى ترتفعَ السماءُ قليلاً...

الهروبُ من هيروشيما

١

بكُلِّ احترامْ..
سأستأذنُ الآنَ بالإنصرافْ
فما عاد لي موقعٌ في حياتكِ
إنَّ الزمانَ بغرناطةٍ قد تولَّى
ولم يَبْقَ وردٌ، ولا بَيْلَسَانْ.
سأتركُ هذا المكانَ إليكِ..
لكي أتناثرَ في اللا مَكَانْ.
وأكسرَ هذا الزمانَ المدوَّرَ..
هذا الزمانَ المربَّعَ.. هذا الزمانَ المثلَّثَ..
هذا الزمانَ الذي قد توقَّفَ
في ناظريْكِ عن الدَوَرانْ...

٢

سأحملُ تَبْغي.. وحُزْني.. وموتي..
وأرفَعُ قُبَّعتِي شاكراً..
وأرحَلُ تحت ستار الظلامْ.

٣

لماذا بقائي؟
كتِمْثَال شَمْعٍ.. لماذا بقائي؟
ولم يَبْق شئُ يُثير حنيني
ولم يَبْق شئُ يُثير اشْتهَائي...
فكيف أشمُّ عُطُورَ فرنسا عليكِ؟
ونَجْدُ.. وصنعاءُ.. تحت ردائي..
وكيفَ، أغطّيك بالفَرْو.. والريشِ..
حينَ تكون حياتي، بغير غَطَاءٍ؟..

٤

سأرحَلُ شَرْقاً.. سأرحلُ غَرْباً..
فلم يبق شئُ هُنا..
يستحقُّ البْكَاءْ.
وأمَّا النساءْ..
فهُنَّ حشيشَةُ كُلُّ العُصُورِ..
وأقْسَمْتُ -بَعْدَكِ-
لن أتعاطى النساءْ...

٥

سأدخُلُ..
غَابَةَ عينيك ليلاً..
لأقتلَ كُلَّ الطيور التى تتخبَّأ بين الشَجَر
وأرمي الرَسَائلَ، أرمي المَكَاحلَ،
أرمي الأساورَ، أرمي الصُوَرْ...
وأحْرِقَ آخرَ ثوبٍ، رأيتُك فيهِ
وأغْمِدَ سيفي.. بلَحْم القَمَرْ..

٦

سأرحَلُ..
ليسَ يهُمُّ لأيْنَ..
فكُلُّ ترابٍ سأمشي عليهِ
يصيرُ سَمَاءْ..
وكُلُّ غَمَامٍ،
سَأكتُبُ شعري عليهِ
سيُمْطِرُ خمراً.. وماءْ...

لابسة الكيمونو..

١

أعِدُّ لسيِّدةٍ لا تجئُ..
وتهربُ من كُلِّ أسمائِها
كيمينُو من الصينِ،
حتّى يليقَ بتُفَّاحها الملكيِّ
ويُبْدِعَ في رَسْمِ أعضائها..

٢

أعِدُّ لسيِّدة السيِّداتْ
فضاءْ جميلاً من الكَلِمَاتْ..
وأجلسُ،
مشتعلاً باشْتِعَالي
ومشتعلاً بالقصائدِ،
مشتعلاً باللّغاتْ..
ومشتعلاً بالعصافيرِ،
تهجُمُ من شرق عينيْكِ..

تهجُمُ من غرب عينيْك..
تنقُرُني من جميع الجِهَاتْ..
أعِدُّ لسيِّدةٍ.. لم أشاهِدْ يَدَيْهَا
ألوفَ الخواتمْ.

٣

أعِدُّ لسيّدةٍ المستحيلِ
كلاماً جميلاً..
وأنسى كلامي.
وأفْتَحُ فى الفجر، أقفاصَ كُلِّ الحَمَامِ..
وينتشرُ القطنُ شَرْقاً.. وغَرْباً..
ويلمعُ برقٌ ورائي.
ويسقُطُ نَجْمُ أمامي.
ويتركني الشعرُ،
إنَّ القصائدَ ليستْ تليقُ بهذا المقامِ.
وإنَّ طموحَ العَبارةِ،
دونَ طموح الرُخَامِ...

٤

أُعِدُّ لسيِّدة الوقتِ، وقتاً
وألغي زَمَانِي..
وأدخُلُ في وردة الشَفَتَيْنِ،
فتصبحُ ذاكرتي في لساني..
يمرُّ الكيمونو، أمامَ فُضُول المَرَايا
فأفقدُ، حين يمرُّ، اتّزاني.
وأبْحرُ من جُزُر اللازَوَرْدِ
لأرْسُوَ في جُزُر الأرجُوانِ..
لماذا النبيذُ الفرنسيُّ.. يُشْعِلُ وهْمي؟
فأسْمَعُ خلفَ الكيمونْو
صهيلَ حِصَانٍ؟؟

٥

أنا امْرأةٌ..
أشْعَلتْ في حياتي البُروقَ
تُراني، أشُمُّ دُخَانَ الكيُمونو،
أم أنَي أشُمُّ دخاني؟

أحاولُ إنقاذ آخرِ أنثى قَبْلَ وُصُول التتار...

١

أعُدُّ فناجينَ قهوتِنَا الفارغاتِ،
وأمْضَغُ..
آخِرَ كَسْرَةِ شعْر لديَّ
وأضربُ جُمْجُمَتي بالجدارْ..
أعُدُّكِ.. جُزْءاً فجُزْءاً..
قُبَيْلَ انسحابكِ منّي، وقَبْلَ رحيلِ القطارْ.
أعُدُّ.. أناملَكِ الناحلاتِ،
أعُدُّ الخواتمَ فيها..
أعُدُّ شوارعَ نَهْدَيْكِ بيتاً فبيتاً..
أعُدُّ الأرانبَ تحت غطاءِ السريرِ..
أعُدُّ ضلوعَكِ، قبلَ العِنَاقِ.. وبَعْدَ العناقِ..
أعُدُّ مَسَامات جِلْدِكِ.. قبل دُخُولي، وبعد خُرُوجي
وقَبْلَ انتحاري.
وبَعْدَ انتحاري.

٢

أَعُدُّ أصابعَ رجْلَيْكِ..
كَيْ أتأكَّدَ أنَّ الحريرَ بخيْرٍ..
وأنَّ الحليبَ بخَيْرٍ..
وأنَّ بيانُو (مُوزارْتٍ) بخيْرٍ..
وأنَّ الحَمَامَ الدمشقيَّ..
ما زالَ يلعبُ في صحن داري.

٣

أَعُدُّ تفاصيلَ جِسْمِكِ..
شِبْراً.. فشِبْراً..
وبَرّاً.. وبَحْراً..
وساقاً.. وخَصْراً..
ووجهاً.. وظَهْراً..
أَعُدُّ العصافيرَ..
تسْرُقُ من بين نَهْدَيْكِ..
قَمْحاً، وزَهْراً..
أَعُدُّ القصيدةَ، بَيْتاً فبَيْتاً

قُبَيْلَ انفجار اللّغاَتِ،
وقَبْلَ انفجاري،
أحاولُ أن أتعلّقَ فى حَلْمَة الثَدْيِ،
قبل سُقُوط السَمَاء عليَّ،
وقبل سُقُوط السِتَار.
أحاولُ إنقاذَ آخِرِ نهْدٍ جميلٍ
وآخِرِ أنثى..
قُبَيْلَ وُصُولِ التتَارِ..

٤

أقيسُ مساحةَ خَصْرِكِ
قبل سُقُوط القذيفِة فوق زُجَاج حُرُوفي
وقبلَ انْشِطاري.
أقيسُ مساحةَ عِشْقي، فأفْشَلُ
كيفَ بوسع شراعٍ صغيرٍ
كقلبي،
اجتيازَ أعالي البحَار؟
أقيسُ الذي لا يُقَاسُ
فيا امرأةً من فضاء النُبُوءَاتِ،
هل تقبلينَ شعري؟

٥

أَعُدُّ قناني عُطُورك فوق الرُفُوفِ
فتجتاحُني نَوْبةٌ من دُوَارٍ..
وأحْصِي فساتينَكِ الرائعاتِ،
فأدخُلُ في غابةٍ
من نُحاسٍ ونارٍ..
سَنَابلُ شَعْرِكِ تُشْبهُ أبعادَ حُرِيَّتي
وألوانُ عَيْنَيْكِ،
فيها انْفِتَاحُ البَرَاري.

٦

أيا امرأةً.. لا أزالُ أَعُدُّ يَدَيْهَا
وأخطئُ..
بيَن شُرُوق اليَدَيْن.. وبين شُرُوق النَهَارِ.
أيا ليتَني ألتقيكَ لخَمْسِ دَقَائقَ
بينَ انْهَيَاري.. وبينَ انْهيَاري.
هي الحرْبُ.. تَمْضَغُ لحمي ولَحْمَك..
ماذا أقولُ؟

أيُّ كلامٍ يليقُ بهذا الدَمَار؟
أخافُ عليك. ولستُ أخافُ عليَّ
فأنتِ جُنُوني الأخيرُ..
وأنتِ احتراقي الأخيرُ..
وأنتِ ضريحي.. وأنتِ مَزَاري..

٧

أَعُدُّكِ..
بدءاً من القُرْطِ، حتَّى السوارِ..
ومن منبع النَهْرِ.. حتَّى خليجِ المَحَارِ..
أَعُدُّ فناجينَ شَهْوَتنَا
ثمَّ أبدأُ فى عَدِّها من جديدٍ
لعلّي نسيتُ الحسابَ قليلاً
لعلّي نسيتُ الحسابَ كثيراً
ولكنَّني ما نسيتُ السلامَ
على شَجَر الخَوْخ فى شَفَتَيْكِ
ورائحةِ الوردِ، والجُلّنارِ.

٨

أحبُّكِ..
يا امرأةً لا تزالُ معي، فى زَمان الحِصَارِ
أحبُّكِ..
يا امرأةً لا تزالُ تقدِّمُ لى فَمَها وردةً
فى زمانِ الغُبَارِ.
أحبُّكِ حتى التقمُّصِ، حتى التوحُّدِ،
حتّى فَنَائيَ فيكِ، وحتى اندثاري.
أحِبُّكِ..
لابُدَّ لي أن أقولَ قليلاً من الشّعرِ
قبلَ قَرَارِ انتحاري.
أحِبُّكِ..
لابُدَّ لي أن أحرِّرَ آخرَ أنثى
قُبَيْلَ وصول التتَارِ..

٢٧/ ٤/ ١٩٨٩

لا غالبَ إلا الحبّ

١

برغْمِ ما يثورُ في عينيَّ من زوابعٍ
ورغْمِ ما ينامُ في عينيْكِ من أحزانْ
برغْمِ عَصَرٍ،
يُطْلِقُ النار على الجمالِ، حيثُ كانْ..
والعَدْلِ، حيثُ كانْ..
والرَأْيِ حيثُ كانْ
أقولُ: لا غالبَ إلاَّ الحُبْ
أقولُ: لا غالب إلاَّ الحُبْ
للمرَّة المليون..
لا غالبَ إلاَّ الحُبْ
فلا يعَطِّينا من اليَبَاسِ،
إلاَّ شجرُ الحَنانْ.

٢

برَغْم هذا الزَمَن الخَرَابْ
برغْمِ عَصْر يقتلُ الكتَابَهْ..
ويقتُلُ الكُتَّابْ...
ويُطْلِقُ النارَ على الحَمَامِ.. والورودِ..
والأعْشَابْ..
ويدفُنُ القصائدَ العصماءَ..
في مقبرة الكلابْ..
أقولُ: لا غَالبَ إلاّ الفكْر
أقولُ: لا غَالبَ إلاّ الفكْرْ
للمرّةِ المليونِ،
لا غالبَ إلاّ الفكْرْ..
ولَنْ تموتَ الكلْمَةُ الجميلَةْ
بأيِّ سيفٍ كانْ...
وأيِّ سجْنٍ كانْ..
وأيِّ عَصْر كانْ...

٣

بالرَغْم ممَّنْ حاصروا عينيْك..
يا حبيبتي.
وأحرقُوا الخُضْرَةَ والأشْجَارْ
بالرغْمِ ممَّنْ حاصَرُوا نَوَّارْ
أقولُ: لا غالبَ إلا الوردُ..
يا حبيبتي.
والماءُ، والأزْهَارْ.
برَغْم كُلِّ الجَدْب فى أرواحنَا
ونَدْرَةِ الغُيُومِ والأمطارْ
ورغْمِ كُلِّ الليل فى أحداقنَا
لابُدَّ أن ينتصرَ النَهَارْ...

٤

فى زَمَن تَحوَّل القلبُ بهِ
إلى إناءٍ من خَشَبْ..
وأصبحَ الشعْر به،
قصيدةً من الخشَبْ
فى زَمَن اللاّ عشْق.. واللاّ حُلْمِ.. واللاّ بحرِ..
واستقالةِ الأوراقِ، والأقلام، والكُتُبْ

٥

برَغْمِ هذا الزَمَن الغارقِ في الشُذُوذ..
والحَشيشِ..
والإدْمَانْ..
برَغْم عَصْرٍ يكرهُ التمثالَ، واللوحةَ،
والعُطُورَ..
والألوانْ..
برَغْمِ هذا الزَمَن الهاربِ..
برَغْمِ مَنْ قد سرَقُوا أعمارَنا
وانْتَشَلُوا من جيبنا الأوطانْ
برَغْمَ ألفِ مُخْبِر مُحْتَرِفٍ
صمَّمَهُ مهندسُ البيت مع الجُدْرَانْ
برَغْم آلاف التقارير التي
يكتبُها الجُرْذَانُ للجُرذَانْ
أقولُ: لا غالبَ إلاَّ الشَّعبْ
أقولُ: لا غالب إلاَّ الشَّعبْ
للمرَّةِ المليونِ،
لا غالبَ إلاَّ الشَّعبْ.

التانغو الأخير
فوق حقل من التوليب الأحمر..

١

لم تكوني امرأة عاديةْ...
في ذلك اليوم الشتائيِّ الذي يحكمُهُ الكونياكُ،
والقهوةُ.. والجنْسُ.. وإيقاعُ المزاريبِ،
وموسيقى المطرْ..
كنتِ جَمْراً. كُنْت فَحْمَا.
كنت شيئاً لا يُسَمَّى.
لم تكُوني دُمْيَةً مَحْشُوةً بالقطن.. مثل الأخْرَياتِ
كنتِ وَحْشاً رائعِ الجلد جميلا..
لم تكوني نَسْمةً من نسمات الصيف..
لكنْ كنت زلزالاً مَهُولا.
لم تكوني زهرةً من ورقٍ
بل حصانا.. يمضغ الشرشَفَ شوقاً وصهيلا..

٢

كان تشرينُ بلا عقلٍ..
وكان العشبُ متروكاً على فطرته الأولى..
وماري، تصنعُ الحُبَّ على فطرتها الأولى..
وكانت تتهجّى جَسَدي حرفاً فحرفا..
دونَ أن تُخْطئَ في تشكيل كلِّ الكَلماتِ
ربّما الكونياكُ قد ثقَّفَ ماري..
فهي تختارُ أرقَّ المُفْرَدَاتِ.
ربّما الكونياكُ قد علَّمَها
أنَّ في إمكان نهدَيْها احتلالَ الكائناتِ
هذه الليلةَ، يا ماري، سأبقى صامتاً
فالبراندي، هو سُلْطَانُ اللغاتِ..

٣

كنت في أخصب أيامك، يا ماري،
وكانت أنْهُرُ الياقوت تجري بهدوءٍ..
والأزاهيُر تغطي كلّ أنحاء السريرْ..
لم تكوني امرأةً مذعورةً.. أو خائفَةْ

كُنْت سكّينا بعد العاصفَةْ
شَرِبتُ سجّادة الوقت، يا سيدتي، نصفَ دمي
وأنا اقتطف العشب مبهوراً..
وأحسوا المطر الورديَّ من أعلى الينابيع..
وأكون بالبراندي شَفَة الجُرْح..
ولا أحسبْ للنار حسابْ..
آه.. يا ماري التى تفتحُ لى أسوارَها مثل كتابْ
لم يعُد عندي ما أقرؤهْ.
فأنا أت من الأرض الخرابْ..

٤

آه.. يا ماري التى تلبس لي
فى أوّل الليل قميصاً معجزةْ..
وإذا ما انتصفَ الليلْ..
قميصاً معجزَةْ..
كيفَ صارَ الزَغَبُ الطالعُ من إبْطِيكِ..
أسلاكَ حريرْ؟
آهِ.. يا ماري التى تحفرني فى بطنها العاري..
كجرحٍ مستديرْ..

يا التي أزرُع في أحشائِها..
السيفَ الأخيرْ..

٥

أحرق الكونياكُ أعصابي..
وفي عينيْكِ بَرْقٌ.. ورعودٌ.. ومَطَرْ..
وقلوعٌ.. واحتمالاتُ سَفَرْ
لم أكن أدْرِكُ ما يجري تماماً..
غير أن الأرضَ كانت تحَتنا تهتزُّ..
والجدرانُ، والأبوابُ، والأكوابُ، واللوحاتُ،
والأشجارُ، والأوراقُ في الريح تطيرْ
لم أكُنْ أسمعُ إلا جَرَس القرية في الليلِ،
وإلاّ وَقْعَ أقدامٍ على الثلج،
وإلاّ صَرْخَةَ الأنثى التي تُشْعَلُ النارَ بقلب الزمهريرْ
آه.. يا ماري التي تشرح لي كلَّ شيءٍ.. مثل
تلميذ صغيرْ.
أنت منفايَ النهائيُّ.. وميناني الأخيرْ
فاسجيني من يدي..
قبل أن يبلعني البحرُ الكبيرْ...

جبال الألب ديسمبر ١٩٨٣

إلى سمكةٍ قبرصية.. تدعى تامارا..

١

باسم ليماسُولَ..
شكراً يا تامارا
باسْم هذا الخاتم المشغول بالفيروزَ..
شُكْراً يا تامارا
باسْمِ هذا الدفتر المفتوح للضوءِ.. وللشعْرِ..
وللعشّاقِ..
شكراً يا تامارا
باسم أسراب من النَوْرَسِ كانَتْ
تنقر الحنطةَ من ثغركِ..
شكراً يا تامارا
باسم كلِّ القبرصيينَ الذين اكتشفُوا
اللؤلؤَ الأسودَ في عينيْكِ..
شكراً يا تامارا
باسم أحزاني التي ألقيتُها في بحر بيروتَ...
وأجزائي التي أبحثُ عنها..
في زوايا الأرض ليلاً ونَهَاراً...
ألفُ شكرٍ.. يا تامارا.

٢

يا تامارا القبرصيَّةْ:
أيُّها السيفُ الذي يقتلني من قبل أن يُلقي التحيَّةْ
باسْمِ مقهانا البدائيِّ على البحر..
وكُرْسيَّيْنِ مزروعيْنِ في الرملِ..
و (أنطونيو) الذي كان خلالَ الصيف عرَّابَ هوانا.
والذي كان وديعاً مثلَ قط منزليًّ..
وعريقاً مثل تمثال حكيمٍ من أثينا،
ورقيقاً.. وصديقاً.. عندما يختارُ في الليل لنا
فاكهةَ البحر..
ويوصيكِ بأن ترتشفي (الأوزو)
الذي تشربُه آلهةُ اليونانِ في الحبِّ وفي الحربِ..
ويرجوكِ بأن تستمتعي بمذاقِ (الكالامارْ)
ومَذَاقِ العشق في تلك الجزيرَةْ
باسم آلاف التفاصيل الصغيرَةْ..
ألفُ شكرٍ.. يا تامارا

٣

كيف أنسى امرأةً من قبرصٍ..
تُدْعى تامارا..
شَعْرُها تعلكهُ الريحُ..
ونهداها يُقيمان مع الله حواراً..
خرجَتْ من رَغْوَة البحر كَعْشتَارٍ.. وكانتْ
تلبسُ الشمسَ بساقَيْها سِوارا..
كيفَ أنسى جسداً؟
يقدحُ كالفسفور في الليل شراراً..
كيف أنسى حَلْمَةً مجنونةً
مزَّقتْ لحمي، صعوداً.. وانحدارا...

٤

إصْهلي.. يا فَرَسَ الماء الجميلَةْ
إصرخي.. يا قطّةَ الليل الجميلَةْ
بلّليني برَذَاذِ الماء والكُحْلِ..
فلولاكِ لكانتْ هذه الأرضُ صَحَاري..
بلّليني.. بالأغاني القبرصيَّةْ

ما تهمُّ الأبجديّاتُ.. فأنتِ الأبجديَّةْ..
يا التي عشتُ إلى جانبها العشقَ.. جُنُوناً
وانتحارا.. يا التي ساحلها الرمليّ يرمي لي..
زُهوراً.. ونبيذاً قبرصياً.. ومَحَارا..
لم يكُنْ حبُّ تامارا..
ذلك الحبَّ الروائيَّ، ولكنْ كانَ عصْفاً ودمارا..
لم يكُنْ جدول ماءٍ.. إنما كانَ انفجارا
لم يكن حُبّاً صغيراً..
فقد احتلَّ بلاداً.. وشعوباً.. وبحارا..
كلُّ أمجادي سرابٌ خادعٌ
ليس من مجدٍ حقيقيٍ.. سوى عينيْ تامارا..

٥

تحت سطح الماء.. أحببتُ تامارا..
ورأيتُ السَمَكَ الأحمرَ.. والأزرقَ..
والفضيَّ.. فوجئتُ بغاباتٍ من المرجانِ..
داعبتُ كطفلٍ سلحفاةَ البحرِ،
لامستُ النباتات التى تفترسُ الإنسانَ،
حاولتُ انتشالَ السفن الغرقى من القَعْرِ..

ولَلمتُ كنوزاً ليسَ تُحصى.. ونجوماً.. وثماراً..
تحت سطح الماءِ.. أعلنتُ زواجي بتامارا..
فإذا بالموج قد صار نبيذاً..
وإذا الأسماكُ أصبحنَ سُكارى..

٦

ما الذي يحدثُ تحت الماء في جلد تامارا؟
فهُنا.. الأحمرُ يزدادُ احمرارا..
وهنا.. الأخضرُ يزدادُ اخضرارا..
وهنا السُرَّةُ تزدادُ أمام الضوءِ..
خوفاً.. وانبهارا..
ما الذي يحدثُ في عقلي.. وفي عقل تامارا؟
سَمَكُ الدولفين يرمي نفسَهُ..
كالمجانين يميناً.. ويساراً..
سَمَكُ الدولفين يدعوني لكي أقفزَ في الماءِ..
وفي مملكة الأسماكِ..
لا أملكُ رأياً أو خيارا..
عَبَثٌ.. أن يُسْأَلَ الإنسانُ عن ماضيه أو حاضرِه،
عندما يتّخذ البحرُ القرارا...

رائحة الكتابة

للمرأة التي أحبُّها
قَدَمانِ صغيرتانِ جداً..
تشبهانِ كلامَ الأطفالْ
ولجسدها رائحة سرّية جداً
كرائحة الكتابة الممنوعَةْ..

تدخن

كنتُ أدخّنُ مئة سيجارةٍ في اليومْ
وتوقّفتُ عن الانتحار ببطولَةْ
والآن..
أحاولُ التوقُّف عن تدخين امرأةٍ واحدهْ
فلا أستطيعْ...

موســيقى

أمطارُ أوربا
تعزف سوناتات بتهوفن
وأمطارُ الوطن..
تعزفُ جراحات سيّد درويش
وأنا بدون تردد
مع هذا الإسكندرانيّ
الذي يضيءُ في حنجرته قَمَرُ الحزن..

طبيعة الرجل

يحتاجُ الرجلُ إلى دقيقة واحدة
ليعشقَ امرأةً..
ويحتاجُ إلى عصورٍ لنسيانِها...

الخروج عن النص

١

أرسمُ على كرّاستي مُهْرَيْن صغيرينْ
يلعبانِ على ساحل البحرْ
ويرشَّان بعضهما بالماءْ
واحدٌ له جناحٌ من صوغف الأنغورا
والثاني له جناحٌ من دانتيل فَينيسيا
واحدٌ يأكل العشْبَ من مراعي القمرْ
وواحدٌ يأكل العشْبَ من مراعي صدري
واحدٌ.. أضعُ على رأسه نقطة حمراءْ
وواحدٌ.. أتركه بلا تنقيطْ
أرسمُ على كراستي مُهْرَيْن صغيرَيْنْ
واحدٌ تعوّد أن يرضع حليبَ أمه..
والثاني تعوّد أن يرضع دمي..
وأسمّيهما مجازاً (النهْدَينْ)..

٢

يهاجمني التاريخيّون..
عندما أخبرهم أنني عرفتُ فى أسفاري
نهوداً من جُزُر تاهيتي
تنبت كأشجار جوز الهندْ
ونهوداً من بساتين شط العَرَبْ
تنطَ على كتف الرجل.. كضفدعةٍ نهريَّةْ
ونهوداً من تايلاند
تختصر رقّةَ كونفرشيوس
وعنفَ ماوتسي تونغ..
ونهوداً من جنوب السودان
لها رائحةُ البُنّ المحروقْ

أريد أن أعيش

ساعديني على الخروج حيّاً..
من متاهات الشفتين المكتنزتيْن.. والشعر الأسودْ
إنّ معركتي معك ليست متكافئةْ
فأنا لستُ سوى سمكةٍ صغيرهْ
تسبح في حوض من النحاس السائلْ
ساعديني على التقاط أنفاسي
فإنَّ نَبْضي لم يعد طبيعيّاً..
ووقتي صار مرهوناً بمزاجيّة عينيك
فإذا ناما نمتْ..
وإذا استيقظا استيقظت
ساعديني على التفريق بين بدايات أصابعي
ونهايات عمودك الفقريّ
ساعديني على السفر من خريطة جسدكْ
فإنني أريدُ أن أعيشْ...

الطيران فوق سطح العالم

١

قررتُ نهائياً.. أن أتفرَّغ لكِ..
فليس هناك قضيةُ
تستحق أن يموتَ الإنسان من أجلها
إلا حبُّكِ..
ولا محطةٌ تستحقَ الوقوف فيها
إلا محطةُ شَعْرك الليليّ
وليس هناك أيديولوجية متكاملة
أكثرَ إقناعاً من تقاطيع وجهكْ..
وليس هناك مكانُ للانتحار
أعلى من ذروة جفنيك

٢

لقد جرّبتْ كلَّ الأعمال اليدويَّةْ
من رَسْمٍ على الزجاج..
وحفرِ على الخَشَبْ..
واستنفذتُ جميعَ امكانيات الصلصال والسيراميكْ

فلم أكتشف آنيةً خزفيّةً
أكثرَ تناسقاً من جسدكْ
وأصغيتُ إلى عَشَرات التنويعات على البيانو
فلم أستمع إلى معزوفةٍ
أحسنَ تأليفاً من أصابعكْ...

٣

قرّرْتُ نهائياً..
أن أتخلّى عن جواز سفري
وأصبحَ واحداً من رعاياكِ.
قرّرتُ نهائياً..
أن أتعلّق بأية سحابةٍ
هاربةٍ من أطفالها باتجاه البحرْ
فلم يعُدْ لي وطنْ ألتجئ إليهِ..
سوى سواحل يَدَيْكِ..
أنت الوطنُ الأخيرُ الباقي على خريطة الحريّةْ
وكلُّ الأوطان الأخرى.. أوطانٌ كاريكاتوريّةْ
كرسوم والت ديزني..
أو بوليسية...

كمؤلفات آغاتا كريستي..
أنتِ آخرُ سنْبُلَةْ..
وآخرُ قَمَرْ..
وآخرُ حمامَةْ..
وآخرُ غمامَةْ..
وآخرُ مركب أتعلّقُ به..
قبل وصول التَتَارْ...
أنتِ آخرْ وردةٍ أشمُّها
قبل أن ينتهي زمنُ الوردْ..
وآخرُ كتابٍ أقرؤه..
قبل أن تحترقَ كلُّ المكتباتْ
وآخرُ كلمةٍ أكتُبُها
قبلَ أن يأتي زُوَّارُ الفجرْ
وآخرُ عَلاَقةٍ أقيمها مع امرأةْ
قبلَ أن تصبحَ الأنوثَةْ
كلمةً نفتش عنها بالعَدَسات المكَبِّرةْ
في المعاجم والموسوعاتْ...

٤

قرّرتْ أن أذهبَ معك..
إلى آخر نقطةٍ فى العالمْ
وآخرِ نقطةٍ من دمي...
إنني مشتاقٌ إلى الجُزُر التى لا تتعاملُ مع الوقتْ
ولا تقرأ الجرائدَ اليوميَّةْ
لم يَعُدْ عندي أيُّ مَتَاعٍ يُؤسَف عليه...
فلحمي.. أكتله الأسماكُ بين بيروت ولارنكا
ووطني..
نَشَلُوهُ من جيبيي قبل أن أصعد إلى ظهر
السفينةْ... وتذكرةُ هويَّتي...
عليها صورةُ رجلٍ آخَرْ..
كان يُشْبُهني قبلَ خمسينَ عاماً..
ماذا تنتظرينَ كي تَفْتَحي قلوعَ شعرك الأسودْ؟؟
إن رائحةَ الملح والتوْتياء فى الميناءْ
تخترقُني كسيف معدنيٍّ
فلماذا لا تفتحينَ واحداً من شرابينكِ لإيوائي؟
أنا الذي فتحتُ جميعَ شراييني.. لاستقبالكْ...

٥

لم يَعُدْ عندي أسئلةٌ أطرحُها
فأنتِ والبحرْ..
تكتبانِ هذه الليلةَ مصيري
لم يعد عندي ارتباطات بأيِّ حَجَرْ..
أو بأية شجرةْ
أو بأية رائحةْ..
أو بأية خزانة ملابسْ..
فكلُّ ما تبقّى لي..
هو سروالُ الجينز الأزرق الذي ألبسه..
والذي كان رفيقَ تسكّعي..
ورفيقَ السَفَرِ.. والمنفى، والمقاهي،
والقطاراتِ،
وبواخرِ الشحن، والدْوار، والليل، والبراندي،
والجنس، والصراخ العصبيِّ في دهاليز الجنونْ.
كلُّ ما تبقّى لي...
هو هذا الجينزُ التاريخيْ..
المغَّطى بالطَعَناتِ.. وفُتَات الخبز..

وفُتات الجِنْسِ.. وفُتَات صرخاتي ودموعي..
والذي صارَ المتحفَ القوميَّ لمشاعري..
والمفكّرةَ التى أسجّلُ عليها مواعيدَ الإقلاع..
والرسوّ.. ومواعيدَ الغيبوبة والكحولْ
وصارَ، بعد سقوط كلِّ الأوطان..
وَطَني...

٦

لن أعود إلى حماقاتي السابقَةْ..
ولن أسألكِ إلى أينْ؟
إن الجغرافيا لم تعد عندي ذاتَ موضوعْ
فأنا قارورةُ حزن تطفو على وجه جميع بحار
العالمْ.
والمسافةُ بين ولادتي وموتي تُحسب
بالسنتمتراتْ.
لن أسألك إلى أينْ؟
المهمّ.. أن تنتزعيني من ذاكرتي
ومن أوراق الرز نامة العربية..
وترميني على ظهر سفينة... لا ترفعُ علم أى دولةْ...

بيانٌ ضِدَّ كلِّ شيْ!!

١

كتابةُ قصيدةِ حُبٍّ..
فى الوطنِ العربيّْ.
تُشْبهُ حِياكةَ قميصٍ من الحريرْ
لأجسادٍ.. تعوَّدت أن تلبسَ الخَيشْ!!.

٢

كُلَّما تغزَّلتُ بامرأةٍ جميلةْ..
وأهديتُها زهْرَةَ ياسمينْ.
جاء عُمَّالُ البلديَّة فى اليوم الثاني
فاقْتَلعُوها..
وبَنَوا فى مكانها سِجْناً للنِسَاءْ!!.

٣

ماذا بوسع الشِعْر أن يفعَلْ؟
إن العالَم العربيّْ
يحتاجُ إلى مليون شاعرْ

حتى يكتشفوا في رمال الصحراءْ

إبْرَةَ الحُرِيَّةْ!!.

٤

لا أعتذرُ عن أيّة قصيدةٍ نشَرْتُها

فالشاعرُ يتجمَّلُ بأخطائهْ..

ويكرِّرُها..

كما يكرِّرُ البحرُ زرقتَهْ..

والقَمَرُ بياضَهْ..

والوردةُ أريجَها..

والمرأةُ ماكياجَها اليوميْ...

٥

الرجالُ العَرَبْ.

مسؤُولُونَ عن وَأْدِ المرأةِ في العصر الجاهليْ..

وعن إهانةِ عقلِها.. وحصار جَسَدِها..

والمتاجرةِ بأنوثتها.. وتهميشِ ثقافتِها.

في عصرِ الأقمار الصناعيَّةْ...

٦

إعْشَقي.. من شِئْتِ..
وتزوَّجي.. من شِئْتِ..
وسافري مع مَنْ شِئْتِ..
فحيثُ تكونينْ..
أنتِ جزءٌ من قصيدتي!!..

٧

سوفَ يأتي يومٌ
لا تجدينَ فيه أمامَكِ على طَاولَة الزِينَةْ..
إلاَّ قَصَائدي...

٨

لكُلِّ امرأةٍ جديدَةْ..
أكتبُ قصيدةً جديدَةْ..
ليسَ عندي ثيابٌ جاهزَةْ
لكِسْوَةِ كُلِّ نساء القبيلَةْ

٩

إنني لم أرثْ حبيباتي
عن عُمرَ بن أبي ربيعَةْ.
ولا عن سواه من الشعراء الغَزَليّينْ..
فأنا أعجنُ نسائي بيدي، كفطائر العَسَلْ..
وأسْبِكُهُنَّ فى مختبري، كدنانير الفضَّةْ..
إنني فى شؤون الحُبّ..
لا أؤمنُ باستعارة النساء من الآخرينْ..
ولا أقبلُ أن أعشقَ امرأةْ..
تأتيني عن طريق الهِبة، أو الوصيةِ، أو الخِلْعةِ الأميرية..

١٠

إنّني فى كل خيَاراتي الشعريَّةْ.
أرفُضُ استعمالَ المُسْتَعْمَلْ!..

١١

ثمَّةَ رجالٌ مثقَّفُونْ.
عندما يجلسونَ مع امرأةْ..

يتصرَّفُونَ كأميّينْ..

ويُتَأتئونَ على سرير الحُبْ...

كأنّهمْ لا يعرفونَ القراءةَ.. ولا الكتابَةْ!!.

١٢

الجِنْسُ عَزْفٌ حضاريٌ على وتَرَينْ.

وقصيدةٌ يكتُبها جَسَدانْ..

ولكنَّه يفشلُ في بلادنا

لأنّه يحدثُ بين فَرَاشَةٍ ربيعيَّةْ...

وبينَ (بولدوزرٍ)!!.

١٣

أذْهَبُ إلى موعدِكْ..

لاهثاً.. ومُتحمّساً.. ومَبْهُوراً..

كما أذهبُ إلى ورَقَة الكتابَةْ...

١٤

ليسَ هناكَ ما يكسرُني

سوى إقلاع طائرتِكْ..

ليسَ هناكَ ما يُلْصِقُني
سوى هُبُوطِها مرةً ثانيةً
على صَدْري...

١٥

كلّما أحبَبْتُكِ..
كبُرَتْ مساحةُ حريّتي.
إنني لا أستطيعُ أن أعشقَ امرأةً
لا تُحَرِّرُني!!.

١٦

لا أحبُّ قصائدي
التى تلبسُ السترةَ الواقيةَ من الرصاص
وتضعُ فى جيبها بوليصةَ تأمينْ..
وتكونُ برداً وسلاماً..
على مَنْ يقرأونَها...

١٧

أحبُّ قَصَائدي.. التى تعصِفُ.. وتفتكْ..
وترجُ طمأنينة الدراويشْ
وتوصِلُني.. مرةً إلى غرفة الإنعاشْ..
ومرةً إلى النيابة العامَّةْ..
ومرةً.. إلى حَبْل المشنقَةْ...

١٨

أنا لا أصنعُ لكم بشِعْري كراسيَ هزّازهْ..
من أجل قَيْلُولتكُمْ..
إنّني أصنعُ لكمْ وسائدَ محشوّةْ بالأعاصيرْ..
ودبابيسِ القَلَقِ.. وسكاكين الأسئلَة!..

١٩

القصيدةُ.. ليسَتْ مُضيفةَ طيَرانْ..
مهمَّتُها الترفيهُ عن المسافرينْ.
ولكنها امرأةٌ استعماريَّةْ
تُخَطِّطُ لخَطْف الطائرَةْ!!.

٢٠

بيني وبين الشعب العربي
ميثاقُ شَرَفٍ..
عمرُهُ خمسُونَ عاماً.
كلُّ المواثيق الأخرى
التى تحملُ إمضاءَ أبي لَهَبْ..
أكَلَها اللَهَبْ!!.

٢١

يبقى الجُمْهورُ العَرَبيُّ
ثَرْوَتي القوميَّةْ.
ولو أنني غامرتُ بهذا الرصيدِ العظيمْ
لأعلنَتْ محكمةُ الشعْرِ إفْلاَسي
وختَمتْ قصائدي بالشَمْعِ الأحمَرْ..

٢٢

لم أتناولِ العشاءَ أبداً
على مائدة أيِّ سُلْطَانْ..
أو جِنَرالْ..
أو أميرْ..
أو وزيرْ..
إنَّ حاستي السادسةَ كانت تُنْبِئُني
أن العشاءَ مع هؤلاءْ..
سوفَ يكونُ العشَاءَ الأخيرْ!!.

٢٣

القصيدةُ التى تنزفُ
على أصابع قُرَّائها..
مُصَابَةٌ بفقر الدَمْ...

٢٤

منذُ أن أصبحَ الوطَنْ
لا يأكُلُ سوى الخوفْ..
ولا يتقيَّأُ سوى الزجاجِ.. والمساميرْ..
توقَّفْتُ في الشِعرْ
عن صناعةِ الشوكولاتَهْ!!.

٢٥

(أعمالي الشعريَّةُ الكاملة)..
لم تكتملْ.. ولن تكتملَ أبداً..
طالما أنَّ الأصابعَ لا تزالُ ترتَعشْ..
والقلبَ لا يزالُ مُسْتَنْفَزاً..
وأمطارَ الكُحْل لا تزال تَنْهَمِرْ..
والهاتفَ لا يزالُ يرنّ..
والبريدَ لا يزالُ يصِلْ..
والنساءَ الجميلاتْ..
لا يَزلْنَ في غرفة الإنتظارْ!!.

لندن صيف ١٩٩٦

الفهـــــرس